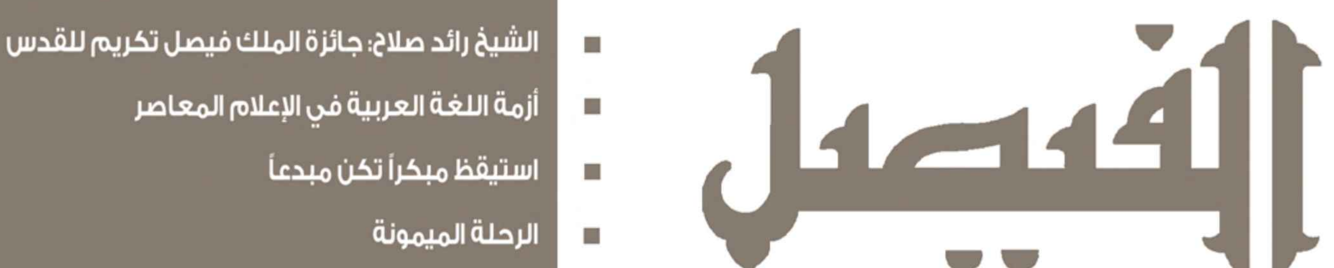


- الشيخ رائد صلاح: جائزة الملك فيصل تكريم للقدس
- أزمة اللغة العربية في الإعلام المعاصر
- استيقظ مبكراً تكن مبدعاً
- الرحلة الميمونة

مجلة ثقافية شهرية - الجماديان ١٤٣٤هـ/ مارس - إبريل ٢٠١٣م

٤٤٣
٤٤٤

سرقسطة
دار السرور

داووا مرضاكم بالصدقة

ساهم في مساعدة مرضى السرطان



حسابات التبرع العام

البنك	رقم الحساب
بنك الراجحي	sa 118000011460801000 5117
بنك سامبا	sa 154000000000 7007009697
البنك الأهلي	sa 711000002465394900 0106
البنك الهولندي	sa 225000000000 10042264005
بنك الرياض	sa 862000000212007749 9940
بنك الإنماء	sa 550500006820006750 2000
بنك ساب	sa 284500000000043221 11001
بنك البلاد	sa 611500099930000017 0009



أرسل رسالة نصية فارغة إلى الرقم **5070** قيمة الرسالة الواحدة ١٠ ريالات

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

سيد علي الجعفري

يوسف باش أعيان

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ٠٤١١ - ٠٨٥٢

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com

كانت العاشرة صباحاً حين غادرت برشلونة، تركت شيئاً من روحي هناك، ورهنته لدى نوافيرها وعصافير حدائقها، ولولا بعض الحياء وخوف العقاب لوجدتني أخربش على جدران الحيّ القوطي ومقاهيه عن لواعجي، عن ذلك الافتتان المستتر بهذه المدينة الكاتالونية الرشيقة بامتياز، لكن (لا غالب إلا الله)؛ فقد غلبتني هذه العبارة المزروعة كطيف حزين على قاعات قصر السرور أو قصر الجعفرية في سرقسطة حين قرأتُ عنها وأنا أفتش عن أفضل الطرق للذهاب من برشلونة إلى مدريد، بل غلبني شوق اكتشاف ما تبقى من (نوستالجيا) التاريخ ورؤيته؛ أي: أن تقف بنفسك على ما تبقى من ذاكرة قرون مضت، أن تراها وتلمسها من دون وسيط، طازجةً وحيةً؛ لتتذوق مزقاً صغيرةً تبقّت من نكهة المتخيل والحقيقي في آن.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات. في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات - الكويت ٨٠٠ فلس - الإمارات ١٠ دراهم - قطر ١٠ ريالات - البحرين دينار واحد - عُمان ريال واحد - الأردن ٧٥٠ فلساً - اليمن ١٠٠ ريال - مصر ٤ جنيهات - السودان ١,٥ جنيه - المغرب ١٠ دراهم - تونس ٢٥٠, ١دينار - الجزائر ٨٠ دينارًا - العراق ٨٠٠ فلس - سورية ٤٥ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكاً - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) - فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢...، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ - فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١ - ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣ نهج المغرب - ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com



كيف نكسب مؤيدين لقضايانا؟

اطّلعت على الملف الذي أعدته المجلة عن راشيل كوري وغيرها من جهات الدنيا الذين تعاطفوا مع قضية فلسطين؛ حتى دفع كثيرون منهم ثمن مواقفهم المبدئية، ومن هؤلاء من ينتمي إلى الغرب الذي نتّهمه دوماً بالوقوف ضد العرب، ومساندة إسرائيل، والتحيز لها، بل منهم من ينتمي إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي تتهم بالانحياز إلى إسرائيل. وقد جاء هذا الملف منصفاً وموضحاً أن التعميم مضرّ بقضيتنا، وأننا يجب أن نقدّر من يناصرونها، وأن نبيّن تضحياتهم، وهي كثيرة؛ لأن منهم من دفع حياته ثمناً لموقفه الإنساني كما حدث لراشيل؛ تلك الشابة التي كان بإمكانها أن تمضي في حياتها بهدوء، لكن الإنسانية التي تسكنها دفعتها إلى هذا الخيار الصعب. لكن هل يكفي أن نكتفي بذكر مآثر مؤيدينا أو أن هناك أسلوباً آخر يجب أن نتبعه لكسب مزيد من المؤيدين؟.

في ظني أن مشكلتنا في أن عدالة قضيتنا واضحة وضوح الشمس، لكننا عاجزون أن نقنع بها الآخرين، وإذا كان للحكومات حساباتها فإن الشعوب يمكن مخاطبتها باللغة التي تناسبها لتوضيح مواقفنا، وكسب تعاطفها.

أشكر لكم أن حرّكتم المياه الراكدة؛ لعلها تجري رقراقةً.

عباس عبدالرازق عباس

الرياض – السعودية

التحرير

نشكر لك، وما كان طرح هذا الموضوع إلا استمراراً لسياسة المجلة في طرح الأفكار عن القضايا المهمة التي تتّصل بواقعنا، ومن ذلك الحوارات التي تجريها مع كبار المفكرين والخبراء من أجل استجلاء الحقائق، والوقوف على بعض خلفيات الأحداث حولنا.



مسابقة الفيصل

أنا أحاول مراراً وتكراراً أن أرسل أجوبة مسابقة مجلة الفيصل عبر الموقع الإلكتروني للمجلة، لكن دائماً تظهر لي لافتة باللون الأحمر مكتوب فيها إن اسم المدينة خاطئ، وقد كتبت مدينة طنجة، وظهر لي أن العنوان خاطئ، وهو صحيح مئة بالمئة، فماذا أفعل؟.

محمد الغنفري – المغرب

التحرير

نشكر لك اهتمامك، ونفيدك بأن أجوبة المسابقة ترسل عن طريق البريد العادي فقط مرفقاً بها كوبون المسابقة الموجود داخل العدد، ولا يتم إرسالها عبر موقع المجلة الإلكتروني.

الدول الإسلامية في إفريقية وآسيا

أريد أن أوضّح أنني من المعجبين بمجلة الفيصل، وما زلت أحرص على متابعتها على الرغم من صعوبة الحصول عليها في المنافذ التي اعتدت أن أحصل على المجلة منها. وقد أعجبت كثيراً باهتمامكم بإفراد صفحات للتعريف ببعض المعالم التاريخية والمدن العتيقة، ولهذا آمل أن يزداد اهتمامكم ببعض الدول الإسلامية في إفريقية وآسيا؛ لأنها تقبض على الجمر، ولها دور كبير في الحضارة العربية الإسلامية، وليتكم تعملون على تشجيع الشباب المبتعث الذي لديه اهتمام بالعمل الصحفي؛ تشجيعاً لهم، وللإفادة منهم وهم يعيشون في مختلف مدن العالم. أتصوّر أن مثل هذا الاقتراح يعين على إثراء المجلة، ويعطي بعض الدول حقها في مجلة نعدّها سفيرةً للثقافة العربية؛ لما لها من دور في إبراز حضارتنا، والدفاع عن هويتنا.

علي مطرودي

جدة - السعودية

التحرير

نشكر لك اقتراحك، وكما تعلم فإن المجلة تحرص على تشجيع الكتّاب الجدد، ومنحهم الفرصة، وهناك كثيرون انطلقوا من المجلة، وهم يقتحمون عالم الصحافة، ولهذا نعلن دائماً ترحيبنا بأيّ مشاركة، وليس هناك معيار للحكم غير الجدة والأمانة العلمية ودقة المعلومات، بل نعمل على خدمة ما يرسل إلينا من خلال تزويده بالصور وأساليب التوضيح المختلفة، ولا نملك غير تكرار الدعوة إلى المشاركة من كلّ من يأنس في نفسه القدرة على الكتابة.



الفيصل إلكترونياً

أتابع مجلة (الفيصل) منذ سنوات بعيدة، حتى يمكن القول: إن بداية تكويني الثقافي كان من خلالها، ولا أزال أحرص على متابعة هذه المجلة، وأتابع تطورها تحريراً وإخراجاً.

آمل اهتمامكم بتحويل المجلة إلى مجلة إلكترونية؛ ليسهل الحصول على موادها والاحتفاظ بها، وفي هذا -لا شك- مواكبة للعصر.

جمال فوزي

القاهرة - مصر

التحرير

نشكر لك اهتمامك، ونفيدك بأن الفيصل الإلكترونية مشروع يتم تنفيذه بتأنٍّ ودقة لكي يأتي في حلة عصرية تحريرياً وتقنياً وفنياً.

استطلاع

سرقسطة هي عاصمة مقاطعة سرقسطة، وهي أيضاً عاصمة منطقة أراجون في شمال شرق إسبانيا، تقع على نهر إيبرو.

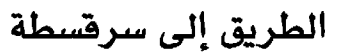
سرقسطة..
دار السرور

تحرير وتصوير:
عبدالله الكويليت

كانت العاشرة صباحاً حين غادرت برشلونة، تركت شيئاً من روحي هناك، ورهنته لدى نوافيرها وعصافير حدائقها، ولولا بعض الحياء وخوف العقاب لوجدتني أخربش على جدران الحيّ القوطي ومقاهيه عن لواعجي، عن ذلك الافتتان المستتر بهذه المدينة الكاتالونية الرشيقة بامتياز، لكن (لا غالب إلا الله)؛ فقد غلبتني هذه العبارة المزروعة كطيف حزين على قاعات قصر السرور أو قصر الجعفرية في سرقسطة حين قرأتُ عنها وأنا أفتش عن أفضل الطرق للذهاب من برشلونة إلى مدريد، بل غلبني شوق اكتشاف ما تبقى من (نوستالجيا) التاريخ ورؤيته؛ أي: أن تقف بنفسك على ما تبقى من ذاكرة قرون مضت، أن تراها وتلمسها من دون وسيط، طازجةً وحيةً؛ لتتذوق مزقاً صغيرةً تبقّت من نكهة المتخيل والحقيقي في آن.

هناك معبر سريّ تُهرِّب فيه الذاكرة أسرارها وخباياها وتفاصيلها، لكن الذاكرة التي نحن إزاءها ليست ذاكرة إنسان تموت بموت صاحبها، بل هي قصة مدينة، قصة حياة كاملة تركت أثرها في كل شيء، في المرويّ والمطموس، في المختفي والمتبقي، في القديم والجديد، في تقاطع الجغرافيا بالتاريخ، وهكذا كان.

لملمت عشقي وقروناً مضت واندرست ومضيت إلى سرقسطة، كان الجو ربيعياً؛ فنحن ضيوف على شهر مارس الذي شجعنا على وداع تلال برشلونة من دون حزن الوداع وحصافته؛ إذ كنا


الطريق إلى سرقسطة

المحلات التجارية الأنيقة في سرقسطة



مدرج روماني يؤكّد البداية الرومانية لسرقسطة

نرى أثر الربيع في صفوف الأشجار التي تقف كالجند لحراسة الطريق السريعة، في حين كانت الشمس ترتب مظهرها في تناغم مثير بينها وبين غيمات متقطعة، وفي السماء حلّقت طيور ربما تذهب مثلنا لاكتشاف طريق رحلتها الجديد.

الطريق إلى سرقسطة

المسافة بين برشلونة وسرقسطة تزيد قليلاً على ٣٠٠كم، وتقع سرقسطة في منتصف الطريق بين برشلونة ومدريد واسطة عقد في هذا الجيد الإسباني الفاتن. كان الطريق يتباين بشكل حادّ بين السهول والتلال والجبال، أما الربيع الذي رسم لوحته الأخاذة في الكروم، وأشجار الزيتون، وحقول الفواكه المزهرة، فقد جعلني أدرك سر إنجاب إسبانيا هذا العدد الكبير من الفنانين العظام: بيكاسو، وسلفادور دالي، وجويا، وخوان ميرو، وأنطونيو غاودي، وإل غريكو، وخوان رامون خيمينيث، وكاميلو خوسيه ثيلا، وخوان غوايتسيلو، ورفائيل ألبرتي، وثربانتس، ولوركا، وأنطونيو ماتشادو، وفرناندو آرابال، وغيرهم. إن واحداً منهم كفيل بكونه مصدر فخر لأيّ أمة ينتمي إليها؛ فما بالك ببلد يحتضن كلّ هذه الكوكبة العظيمة؟!. ثمة ما يضاف في حضرة المشهد الإسباني؛ ففي فسيفساء الطبيعة الملونة كجناح فراشة تمضي بنا السيارة كفرشاة من الدهشة تعبّد الطريق لأبصارنا، وتنشئ ذاكرةً موازيةً وسؤالاً أزلياً غامضاً عن أقصى الحدود التي يمكن أن يقف عندها الجمال بكل تجلياته؟. وقف السؤال في مكانه، بيد أن إجابةً مخاتلةً قفزت على المشهد: هذا بلد لن يجوع أبداً، بلد هذّبه التاريخ، ودلّلته الجغرافيا!.

في نحو الساعة الثالثة اقتربنا من حدود سرقسطة، كان الجزء الأخير من الطريق شبه صحراوي، وصار المنظر كئيباً ومملاً وغير متوقع بعد تلك المناظر الباذخة في أغلب الطريق؛ فقد رسمت القراءات في الكتب والإنترنت منظراً مغايراً تماماً لما نراه أمامنا، لكن الأمل بتغيّر المشهد بين لحظة وأخرى هو ما خفّف الوطأة كثيراً. أما الآن، وبعد أن وصلنا إلى مشارف سرقسطة، والبيوت التي تقف على تلالها، فقد بدأنا نرمي بسنانير بصرنا في أنحائها، ونفتش عن أثر الدهشة الأولى، عن البكارة التي تمنحك إياها المدن عادةً حين تلتقيها للمرة الأولى.

في إسبانيا تحتاج إلى ألف قلب، ستصير ابن زيدون جديداً، وتصير إسبانيا (ولّادتك) الأرستقراطية التي (تمنح قُبلتها لمن يشتهيها)

امتد عهد أغسطس قيصر أكثر من ٣٠ عاماً تعد من عصور روما الذهبية؛ إذ تميزت بالعمران وقلة الحروب

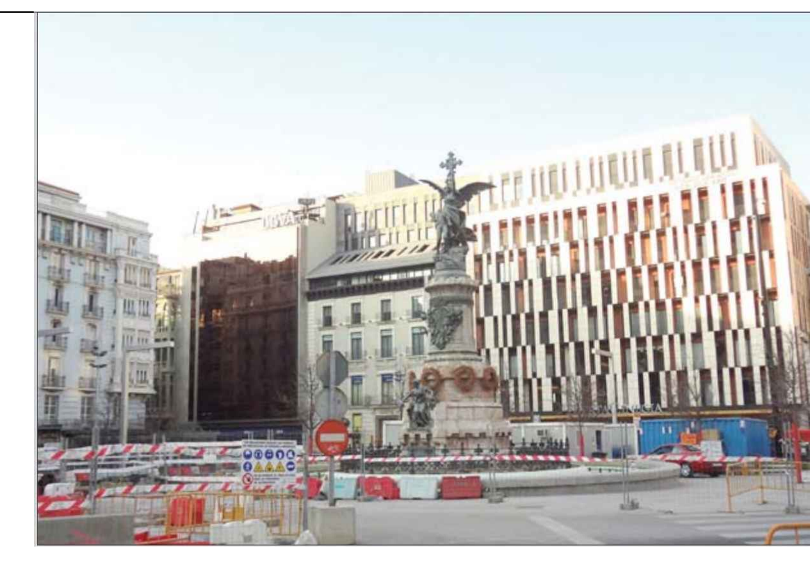
سرقسطة: الاسم والتاريخ

جاء اسم سرقسطة من اسم القيصر الروماني سيزر أغسطس، الذي أسّسها وأدخلها في الدين المسيحي، واسمه الكامل هو: جايوس يوليوس قيصر أغسطس (٢٣ سبتمبر ٦٣ ق. م- ١٩ أغسطس ١٤م)، وهو أول إمبراطور روماني حكم الإمبراطورية الرومانية (من يناير عام ٢٧ ق. م حتى

وفاته في أغسطس عام ١٤م). وُلد باسم جايوس أوكتافيوس ثورينوس، تُوفي والده وهو في سنّ صغيرة، كان والده ينتمي إلى عائلة من عائلات روما المتوسطة، إلا أنه في عام ٤٤ ق. م تبنّاه خال والدته يوليوس قيصر، وأعدّه بنفسه ليخلفه؛ مما جعله نبيلاً من نبلاء روما، ومكّنه من مزاولة العمل السياسي، وبذلك أصبح يسمى رسمياً جايوس يوليوس قيصر. في ٢٧ ق. م منحه مجلس الشيوخ لقب أغسطس الذي يعني (المقدس)، فأصبح جايوس يوليوس قيصر أغسطس. ولأنه يحمل أسماء مختلفة فقد كان من الشائع في المصادر أن يدعوه أوكتافيوس عند الإشارة إلى المدة بين ٦٣ ق. م و٤٤ ق. م، وأوكتافيان عند الإشارة إلى المدة بين ٤٤ ق. م و٢٧ ق. م، وأغسطس عند الإشارة إلى حقبة إمبراطوريته. عاصر أغسطس أواخر الجمهورية الرومانية وحروبها الأهلية بعد خلاف خاله يوليوس قيصر مع مجلس الشيوخ

كاتدرائية البيلار





الروماني، وحروبه مع بومبي، واغتياله على يد بروتوس، وعندما اغتيل يوليوس قيصر كان هو ابن ١٨ عاماً، ونظر المتنافسون على الخلافة إليه باستخفاف شديد، لكنه بذكائه استطاع الاستفادة من صله القرابة هذه، وتحالف مع عدد من أصدقاء يوليوس؛ مثل: ماركوس أنطونيوس أحد جنرالات قيصر، ضد مغتالي يوليوس قيصر؛ مما أدى إلى حرب أهلية أخرى، ثم انتصاره.

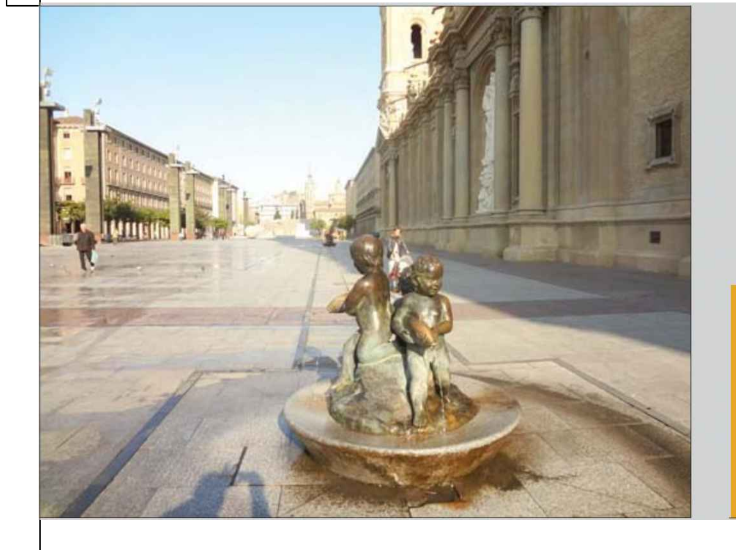
صراعه الأخير كان مع ماركوس أنطونيوس نفسه؛ ليتوّج أول إمبراطور روماني، أو أباً للإمبراطورية Patre Patriae؛ إذ امتد عهد أغسطس قيصر أكثر من ٣٠ عاماً تعدّ من عصور روما الذهبية؛ إذ تميّزت بالعمران وقلة الحروب، وقد أطلق على هذه الحقبة اسم Pax Romana أو السلم الروماني.

أما في العصر الإسلامي، فيقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: «سرقسطة بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة، بلدة مشهورة بالأندلس تتّصل أعمالها بأعمال تطيلة، ذات فواكه عذبة، لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع (Cordillera Cantábrica). قد انفردت بصنعة السَّمُور، ولطف تدبيره، تقوم في طرزها بكمالها منفردةً بالنسج في منوالها، وهي الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية».

سرقسطة (بالإسبانية:Zaragoza)، وتنطق ثراقوثا، هي عاصمة مقاطعة سرقسطة، وهي أيضاً عاصمة منطقة أراجون في شمال شرق إسبانيا، تقع على نهر إيبرو، ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٧٤,٧٢٥ نسمة (تعداد ٢٠١١م)، وتبلغ مساحتها ١٧٢٧٤ كيلومتر مربع، أما كثافتها السكانية فتبلغ ٦٩٢,٨٩ نسمة/ الكيلو متر المربع.

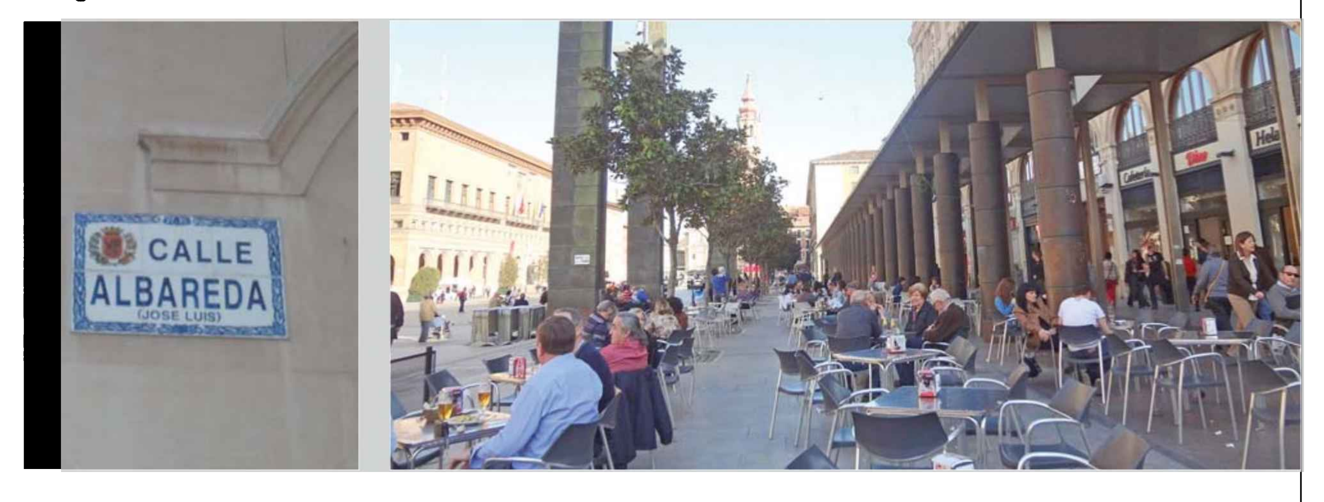
يوجد في سرقسطة أحد أشهر أندية الدرجة الأولى لكرة القدم في إسبانيا وأوربا (ريال سرقسطة)، كما يوجد فيها أيضاً حلبة شهيرة لمصارعة الثيران

كان قصر الجعفرية جزءاً من قصبة سرقسطة؛ أي: حصنها المنيع، واشتهر في تاريخ الفن الإسلامي باسم (دار السرور)



المقهى مكون رئيس من مكوّنات الحياة في سرقسطة

شارع البريد



قال الحميري عن سرقسطة في كتابه (الروض المعطار في خبر الأقطار): «هي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، آهلة، ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنات والبساتين، ولها سور حجارة حصين، وهي على ضفة نهر كبير، يأتي بعضه من بلاد الروم، وبعضه من جبال قلعة أيوب، ومن غير ذلك؛ فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة، ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة. ومدينة سرقسطة هي المدينة البيضاء، وسُمِّيت بذلك لكثرة جصّها وجيارها، ومن خواصها أنها لا تدخلها حية ألبتة، وإن جلبت إليها ماتت؛ فمن الناس من يزعم أن فيها طلسماً لذلك، ومنهم من يقول: إن أكثر بنيانها من الرخام الذي هو صنف من الملح الدراني، ومن خاصيتها ألا تدخل الحناش موضعاً يكون فيه، وكذا بأقاليم عدة. ولسرقسطة جسر عظيم يُجاز عليه إلى المدينة، ولها أسوار منيعة، ومبانٍ رفيعة، واسمها مشتق من اسم قيصر أغسطة، وهو الذي بناها، وذكر أنها بنيت على مثل الصليب، وجعل لها أربعة أبواب: باب إذا طلعت الشمس من أقصى المطالع في القيظ قابلته عند بزوغها، فإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي، وباب إذا طلعت الشمس من أقصى مطالعها في الشتاء قابلته عند بزوغها، وهو الباب القبلي، وإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي».

الطابع الفني يأخذ سمةً خاصةً في قلب المدينة العتيقة بمحاذاة نهر إيبرو الذي يقطع المدينة، ويفصل بين جزأيها التاريخي القديم والمعاصر الحديث

سرقسطة تشتهر بزراعة الزيتون؛ لذلك تعد صناعة زيت الزيتون فيها من الصناعات الشهيرة

مرحباً سرقسطة

ألقيت تحيتي التي أقولها حين أدخل كل مدينة جديدة؛ فالمدن كالنساء عليك أن تكون مهذباً في حضرتهن، كريماً في التعامل معهن، وإلا فلن تعرفهن أبداً، سيسقطنك في غياهب النسيان واللامبالاة؛ فهن لا يمنحن مفاتيح أسرار جمالهن إلا لمن يعشقهن. أردفت: تباً للعشق، تباً للعشق! ففي إسبانيا تحتاج إلى ألف قلب. ستصير ابن زيدون جديداً، وتصير إسبانيا (ولاّدتك) الأرستقراطية التي (تمنح قُبلتها لمن يشتهيها)، قُبلة تعلّقك بخيوط غامضة من عشق لن تشفى منه. هنا أسلمت نفسي طائعاً كغِرٍّ صغير اشتطّ به الوجد؛ فأجدادي من قبلي قتلهم ولهها وعشقها أكثر من ثماني مئة عام، ارتوت الأرض من دمائهم حتى خالطت كرومها وبساتينها، نامت قصائدهم الشعرية في لغتها، أما قصائدهم المعمارية فبقيت بجمالها على الرغم من قسوة أيادي الاجتثاث والمحو المتعاقبة عليها، لكن هيهات فقد صاروا منها وصارت منهم؛ فهل أكون أنا الاستثناء؟!. أضيفي (يا من تصلحين للمعالي) عاشقاً آخر في دفتر العاشقين، وترفّقي به، يسكره مطر الرياض على ندرته، فكيف - بالله عليك - بكلّ هذا الماء وهذا النماء؟!

المشاهد الأولى

على جانب الطريق توقفت لأضبط إعدادات جهاز الـ GPS الملاحي الموجود في السيارة نحو فندق (كاتالونيا إل بيلار)، الذي يقع في الحيّ التجاري في وسط المدينة. كان الفندق جيداً، ولولا ضيق الطريق المؤدية إليه، وصعوبة إيجاد موقف للسيارة بقربه بسبب بعض الإصلاحات، لغدا اختياراً موفقاً بشكل كبير، لكن ذلك اختفى كله حين بدأت المدينة تزيح شيئاً من خفرها عن عيوننا، وتبدي جمالها الهادئ بثقة ودلال. وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية التي تجتاح أوربا والعالم الغربي، وفي مقدمته إسبانيا، إلا أن سرقسطة تتبدى لناظرها بحالة مترفة، ينعكس ذلك في عيون سكانها، وفي ملابسهم، وفي القدرة الشرائية التي

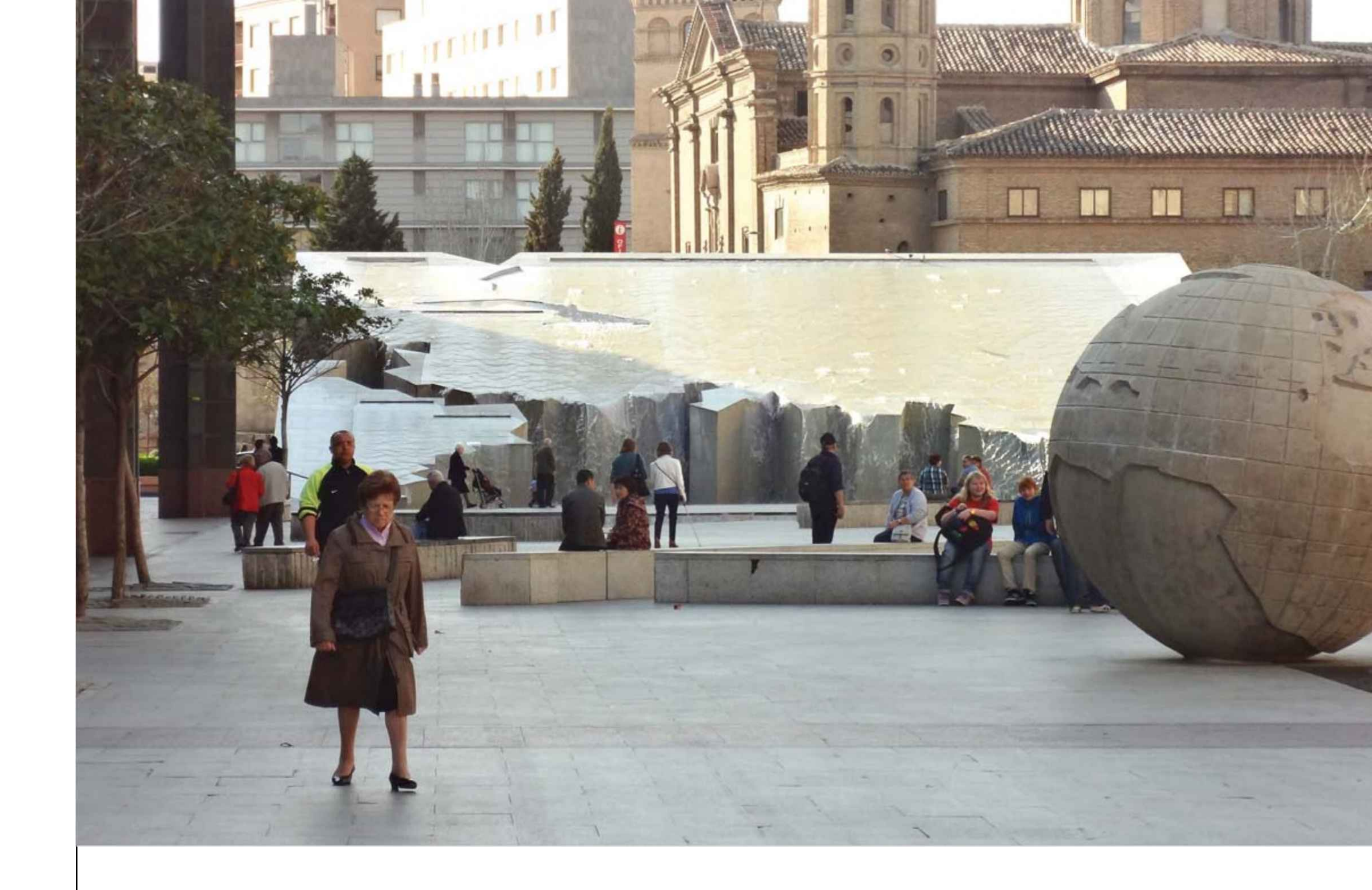
تلمسها في المحلات المتناثرة هنا وهناك. لفت نظري في هذه المدينة مظهران: الأول وجود عدد كبير من المسنين فيها، وحرصهم على أناقتهم، حتى إنك لا تكاد تصادف ما يوازيهم في العدد من الشباب. والمظهر الثاني كثرة المدخنين، وكثرة محلات الحلويات والمثلجات، والأخيرة تشاهدها في أغلب المدن الإسبانية.

تعدّ سرقسطة مركزاً عسكرياً مهماً، من مظاهره قاعدتها الجوية التي شكّلت فيما مضى معقلاً مهماً من معاقل حلف الأطلسي، أما الآن فصارت هذه القاعدة مركزاً مهماً للتدريب على الطيران. إلى جانب ذلك تعدُّ سرقسطة مدينةً صناعيةً بامتياز؛ ففيها يوجد أحد مراكز شركة (أوبل) لتصنيع السيارات التابعة لشركة جنرال موتورز، وتوظف عدداً كبيراً من التقنيين والمهندسين والموظفين والعمال من سكان سرقسطة، كما تمّ إنشاء مدينة كاملة تمتلئ بمراكز تصنيع السيارات والخدمات الخاصة بها، إضافةً إلى جزء خاصّ برياضات سباق السيارات، وتسمى مدينة المولدات الميكانيكية. كما يوجد في سرقسطة مصنع كبير لصناعة الأدوات المنزلية الكهربية والإلكترونية، ومصنع آخر لصناعة المرايا.

أما الزراعة، فهي تقتصر على المناطق المحيطة بسرقسطة، وهي مناطق خصبة، وكانت مركزاً للسكان في الماضي، لكنهم نزحوا منها تدريجياً إلى سرقسطة، ولم يبقَ سوى المزارعين القدامى؛ فالجيل الجديد هو جيل المدينة، وليس جيل الضواحي أو الريف كما شأن الآباء والأجداد. لكن سرقسطة تشتهر بزراعة الزيتون؛ لذلك تعدُّ صناعة زيت الزيتون فيها من الصناعات الشهيرة، ويعدّ إنتاجها في هذا المجال من أجود ما ينتج في إسبانيا وأوربا؛ لذلك حرص جناح أراجون على عرض عدد من منتجات سرقسطة من زيت الزيتون.

أكشاك بيع الكتب المستعملة تلقى رواجاً كبيراً





كما أن للمدينة شهرةً كبيرةً في مجالات الإلكترونات والتقنيات الفنية من خلال أحد معاهدها التقنية المتطورة المعروف باسم (معهد أراجون للتكنولوجيا)، الذي أسهم على مدى ٢٤ عاماً متواصلة في تخريج كثير من الخبراء في تقنيات صناعة السيارات والإلكترونيات. ويوجد في سرقسطة أحد أشهر أندية الدرجة الأولى لكرة القدم في إسبانيا وأوربا (ريال سرقسطة)، كما يوجد فيها أيضاً حلبة شهيرة لمصارعة الثيران. وعلى صعيد الفنون يوجد فيها دار للأوبرا، وكثير من المتاحف التي يأتي في مقدمتها متحف الفنان جويا.

قصر الجعفرية، الذي كان عند تشييده من رموز السيادة الإسلامية على الأندلس، شاءت محاكم التفتيش أن تتخذه مقراً لديوان التحقيق الأراجوني

ثمة ما يثقب القلب حين ترى أثراً معمارياً بديعاً وتسامحاً دينياً، قاعات شهدت جدرانها حوارات العلماء والأطباء

وقوفاً بها

أطلقت قدميّ أخيراً من سجنهما، وهاهي ذي الشوارع تتكشف متتابعةً بمقاهيها ومحلاتها التجارية. في الساحة المواجهة لمبنى المتحف توجد نافورة مياه ضخمة، وحولها شاهدنا عدداً من الصور الفوتوغرافية معلّقةً على لوحات خشبية بيضاء ناصعة تضم معالم المدينة الفنية؛ مما يؤكد الطابع الثقافي والفني لسرقسطة التي يعود إلى فنانها العظيم جويا الفضل في كثير منها؛ فلمساته تراها في كثير من الآثار الفنية والمعمارية في أرجاء المدينة. ولاحقاً، في شارع الاستقلال الذي ينتهي بميدان إسبانيا Espana

Plaza في وسط المدينة، سنفاجأ على الرصيف الواسع الذي تتراصّ المحالّ التجارية والمقاهي على امتداده بمجموعة من المنحوتات البرونزية العملاقة في تشكيلات مختلفة حديثة تميل إلى التجريد وتيارات الفنون الحداثية والمعاصرة من إبداع النحات الإسباني مانيلو فاليدس. أضفْ إلى ذلك الأكشاك المعدة لبيع الكتب المستعملة، التي تلقى رواجاً وجمهوراً من مختلف الطبقات والأعمار.

لكن هذا الطابع الفني يأخذ سمةً خاصةً في قلب المدينة العتيقة بمحاذاة نهر إيبرو الذي يقطع المدينة، ويفصل بين جزأيها التاريخي القديم والمعاصر الحديث؛ ففي الجزء الأول العتيق تتجاور مجموعة من البنايات القديمة، بينها كاتدرائية بيلار Basilica-Cathedral of Our Lady of the Pillar، التي بدأ بناؤها في القرن السابع عشر الميلادي، واستمر العمل فيها حتى القرن العشرين، حين اكتمل بناء أبراجها الكثيرة

ساحة سان برونو Plaza De San Bruno



ذات القباب المميزة. ويعدّ المبنى الذي يعود معمارياً إلى عصر الباروك - أحد أهم المراكز الروحية في سرقسطة.

كانت ساحة سان برونو Plaza de San Bruno أول مقصد لي؛ بسبب قربها وشهرتها، مبتدئاً بالنافورة الواقعة في طرفها، التي بدت أقرب إلى تحفة من البلور منها إلى نافورة جميلة؛ إذ تناغم جسد النافورة بمائها وتكاملا على الرغم من حداثة تصميمها الذي لم يتنافر مع الطراز الباروكي لكاتدرائية البيلار التي تعدُّ موقعاً روحياً مهماً للناطقين باللغة الإسبانية الذين يفدون إليها في الثاني عشر من شهر أكتوبر من كلّ عام يحتفلون ويضعون الأزهار بجوار صورة قديستهم التي تُشاهد صورها في أغلب المحلات. في الساحة أيضاً كاتدرائية Laseo التي كانت معبداً رومانياً حوّله المسلمون إلى الجامع الكبير للمدينة قبل أن ينتهي به المطاف إلى كاتدرائية على يد الأراجونيين، وبعد أن تمّ طرد العرب من سرقسطة جعلوا منه مقراً لتتويج ملوك الأراجون. تسمى هذه الكاتدرائية أيضاً باسم (سان سلفادور)، وقفتُ أنظر إليها، أتأمل اللمسات المعمارية العربية فيها، لم أبكِ عليها؛ فهذا منطق التاريخ، وإسبانيا عادت إلى أهلها. مع هذا بقي الأثر المعماري صامداً على الرغم من محاولات التشويه المتعمدة وغير المتعمدة التي طالته. أما اللغة العربية، فأبقت سحرها وعبقها كله؛ إذ دخلت في نسيج اللغة الإسبانية، وصارت جزءاً منه بطريقة لم تستطع معها محاكم التفتيش إزالتها على الرغم من سطوتها وقسوتها في طرد العرب والموريسك وحرق كتبهم ومؤلفاتهم، وسجن كثير منهم، وتعذيبهم، وقتلهم، ومنعهم من أداء صلواتهم، أو الحديث بلغتهم العربية، بل إن الأمر طال حتى أولئك الذين تنصّروا منهم. عجزت النزعة الهيستيرية لهذه المحاكم من انتزاع أثر اللغة العربية الذي انتشر في العشرات من الكلمات الموجودة والمستعملة حتى الآن. إن زائر إسبانيا اليوم من العرب، أو المتحدث بلغتهم، يجد كثيراً من الكلمات التي بقيت بنطقها العربي كما هي، ولعل الأنموذج الذي سأورده لبعض منها كفيل بإيضاح ذلك التأثير العظيم الذي بقي من لغة عظيمة مؤثرة كالعربية







واجهة قصر الجعفرية من الخارج

اللغة العربية دخلت في نسيج اللغة الإسبانية، وصارت جزءاً منه بطريقة لم تستطع معها محاكم التفتيش إزالتها على الرغم من سطوتها وقسوتها

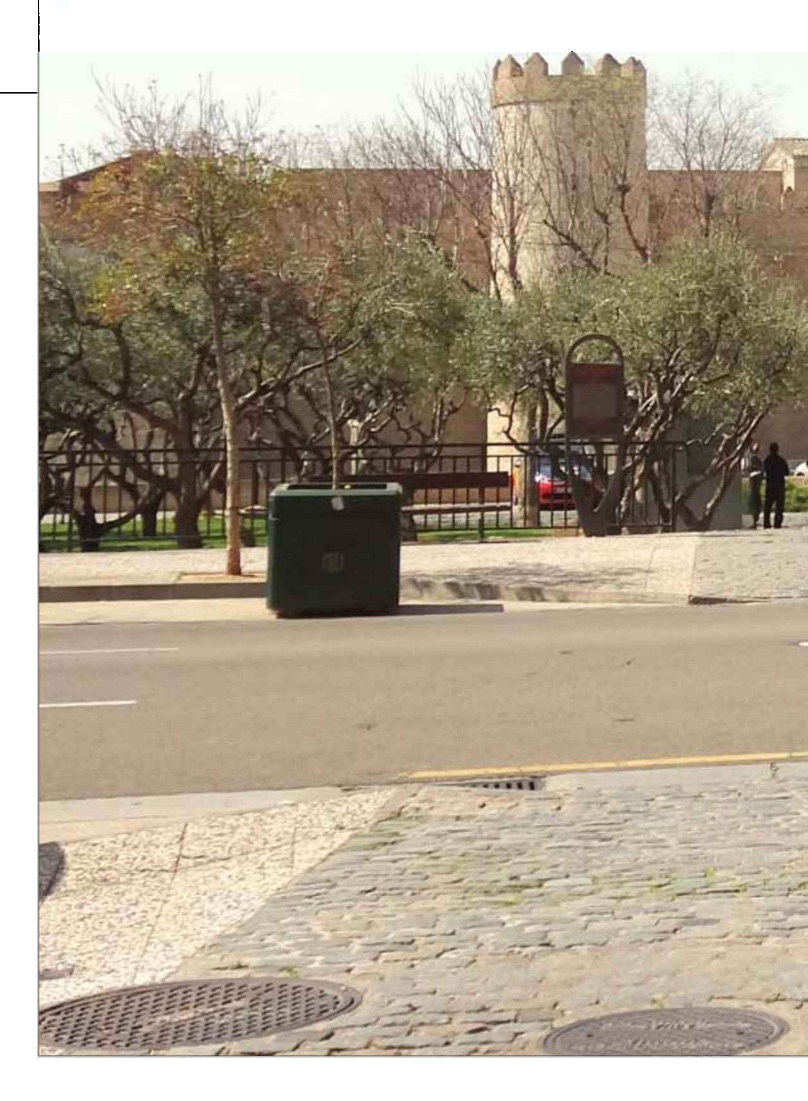
في أواخر القرن الثامن عشر تم تحويل قصر الجعفرية إلى ثكنة عسكرية، وهدمت أسواره الإسلامية القديمة

التي لم تنل -للأسف- لدى العرب المعاصرين من أبنائها العناية التي تستحقها.

قصر الجعفرية

كنتُ أتحسر على أمة عظيمة مرّت، ووقفت هنا بجلال وإبداع وشموخ، أمة تركت أثراً حضارياً في أكثر من مكان، من حدود الصين شرقاً، مروراً بآسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر، وغرباً حتى حدود إسبانيا مع فرنسا. ثمة ما يثقب القلب حين ترى أثراً معمارياً بديعاً وتسامحاً دينياً، قاعات شهدت جدرانها حوارات العلماء والأطباء، وضجت بفلسفات ابن رشد، وقبله معلمه ابن باجّه الذي أنجبته هذه المدينة: سرقسطة. فجأةً استحضرت نزار قباني حين انفطر قلبه أمام قصر غرناطة:

ومشيت مثل الطفل خلف دليلتي
ووراءيَ التاريخ كوم رمادِ
الزخرفات.. أكاد أسمع نبضها
والزركشات على السقوف تنادي
قالت: هنا (الحمراء) زهو جدودنا
فاقرأ على جدرانها أمجادي



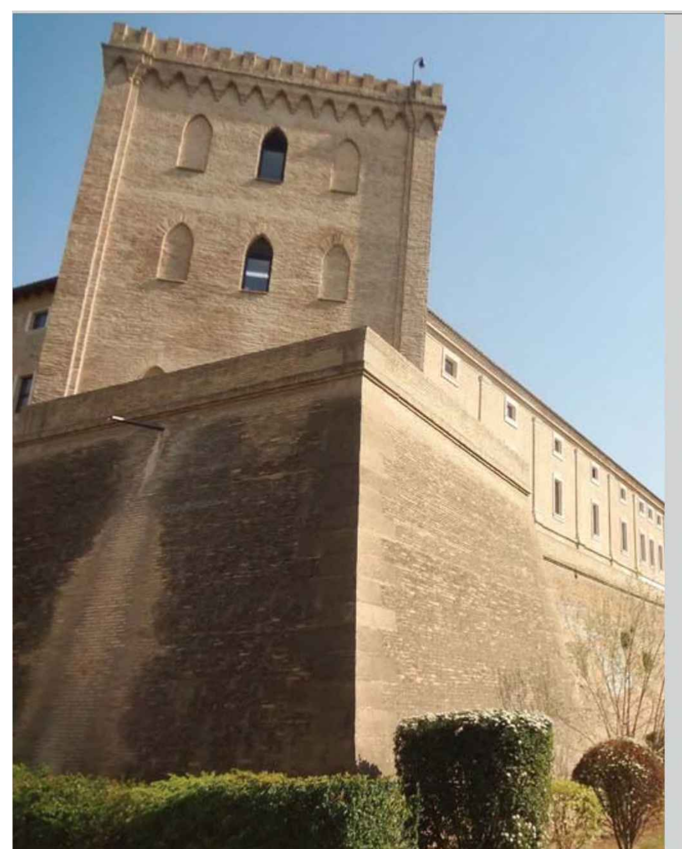
أمجـادهــا؟! ومســحت جـرحـاً نـازفـاً
ومـســحــت جــرحـــاً ثــانـيـاً بـفــؤادي
يــا لـيـت وارثــتـي الجـمـيـلـة أدركـــت
أن الـــذيـــن عـــنـــتـــهـــمُ أجـــــدادي
عــانــقــت فـيـهــا عـنــدمــا ودّعـتــهـا
رجــــلاً يُـســمَّــى (طـــارق بـــن زيـــاد)

يقع قصر الجعفرية في سرقسطة عاصمة إقليم أراجون التي يعود تاريخها إلى أكثر من ألفي عام، والتي احتضنت خلالها أربع حضارات، هي: الإيبيرية، والرومانية، والإسلامية، والمسيحية، وفتحها المسلمون على يد القائد موسى بن نصير عام ٧١٤م؛ أي: بعد ثلاث سنوات من عبور مضيق جبل طارق. وشهدت هذه المنطقة ازدهاراً كبيراً أيام الحكم الإسلامي، وحركةً عمرانيةً وحضاريةً كبيرةً؛ إذ حفرت القنوات، وازدهرت الزراعة، وأقيمت مدارس العلم، وبنيت

كلمات إسبانية من أصل عربي

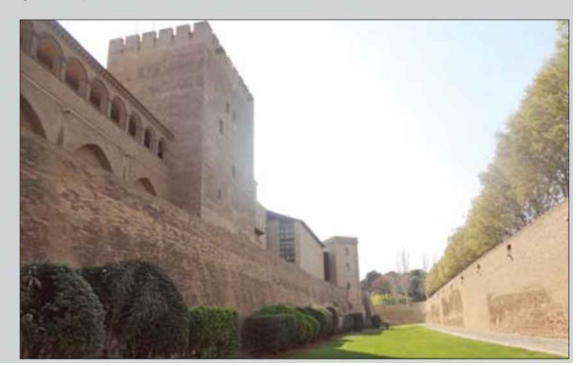
البرنس = Albornoz – وتنطق: البورنوس.
البركة = Alberca – وتنطق: البركة.
كمون = Comino – وتنطق: كومينو.
باذنجان = Berenjena – وتنطق: بيرنخنا.
ديوان = Divan – وتنطق: ديبان.
جبل طارق = Gibraltar – وتنطق: خيبرالتار.
غزال = Gacel – وتنطق: جاثيل.
قيثارة = Guitarra – وتنطق: جيتارا.
عود = Laude – وتنطق: لاوده.
ليمون = Limon – وتنطق: ليمون.
قنطار = Quintal – وتنطق: قينتال.
طاحونة = Tahona – وتنطق: تاؤونا.
طاسة = Taza – وتنطق: تاسا.
الفارس = Alferez – وتنطق: الفيريس.
الفرن = Alforno – وتنطق: الفورنو.
الفيل = Alfil – وتنطق: الفيل.
القبلة = Alquibla – وتنطق: الكيبلة.
المنبر = Almimbar – وتنطق: الميمبار.







مدخل القصر



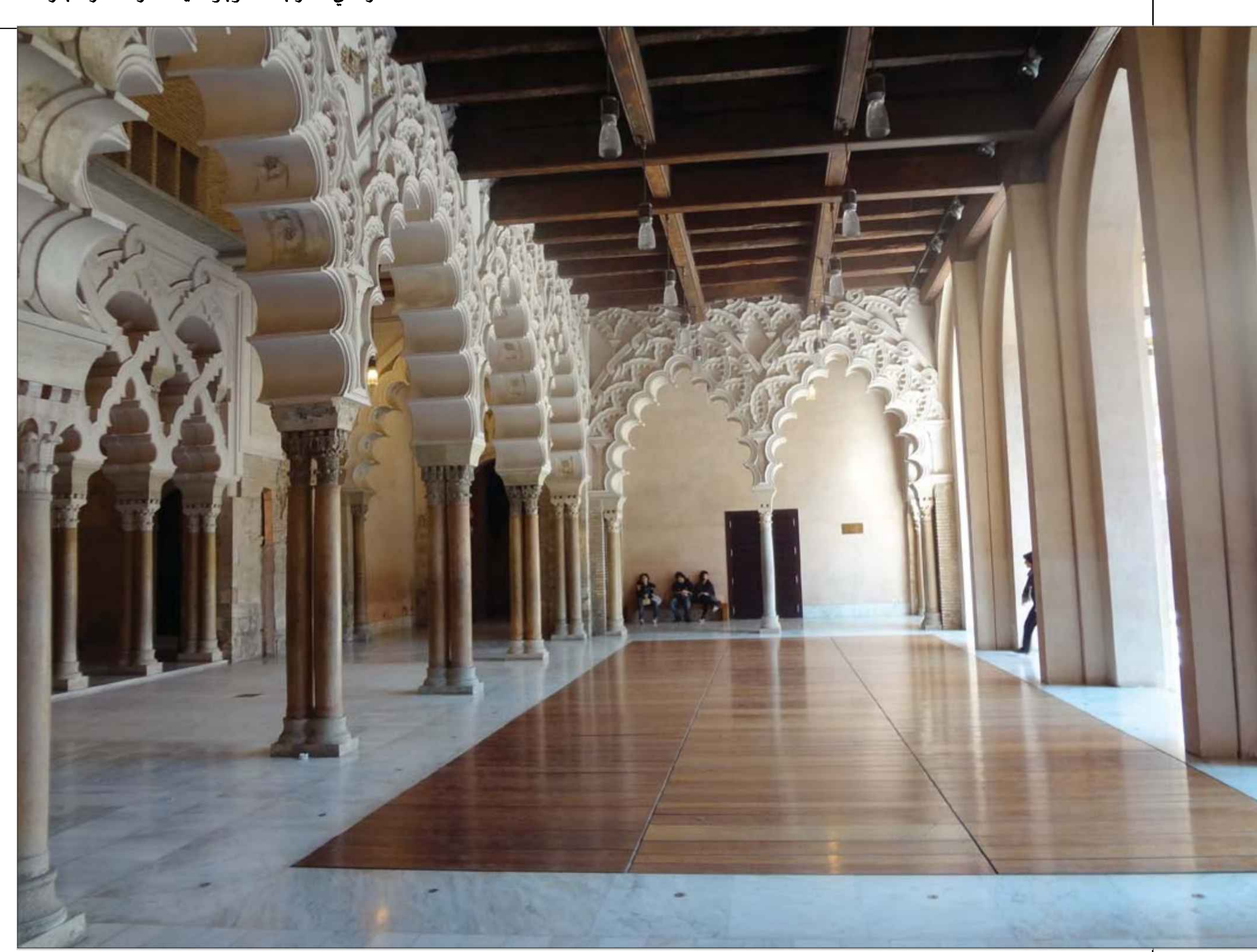
المساجد، وشيدت القلاع والقصور فيها، ولعل أهم ما ميّزها هو ازدهـار الحركة الفكرية والأدبية في ربوعها، فنبغ فيها مفكرون وعلماء مسلمون، أبرزهم: فصحون السرقسطي، والمازني السرقسطي، وأبو بكر محمد بن باجّه السرقسطي المعروف بابن الصائغ.

«ويعدُّ قصر الجعفرية من أبرز معالم سرقسطة الأثرية، وأحد أكبر مفاخرها، شيّده الملك أبو جعفر أحمد المقتدر بن هـود، الملقب بالمقتدر، وهو أحد ملوك الطوائف، في القرن الحادي عشر بين عامي ١٠٤٦ و١٠٨٢م، وأحاطه بحدائق غناء وبساتين خضراء شكّلت مع نهر إيبرو الذي يخترقها لوحات فنية تبهر العيون، وتأخذ الألباب. وحكم هذا الملك ثغر سرقسطة القريب من مناطق الإسبان خمسة وثلاثين عاماً بين سنتي ٤٣٨ و٤٧٤هـ/ ١٠٤٦ و١٠٨١م، وكان من أعظم ملوك الطوائف، فضلاً عن براعته في العلوم الفلسفية والرياضية. ويتميز فنّ القصر المعماري بأنه فسيفساء

على الرغم من الأزمة الاقتصادية إلا أن سرقسطة تتبدى لناظرها بحالة مترفة، ينعكس ذلك في عيون سكانها، وفي ملابسهم، وفي القدرة الشرائية التي تلمسها في المحلات المتناثرة هنا وهناك

هندسية إسلامية تضافرت فيها جماليات الفن الإسلامي الدمشقي والبغدادي والمغاربي، فتآلفت هذه الفنون مع عبقرية الهندسة في قرطبة وغرناطة؛ لتشكّل في تناغمها ملحمةً هندسيةً تسحر العيون بعبقريتها وسحرها. وليس أدلّ على ذلك من جماليات التناغم الفني العجيب بين البناء والضوء؛ إذ صُمِّمت نوافذ القصر الكبيرة بعناية فنية مذهلة يتناغم فيها ضوء الشمس مع ألوان المبنى وزخرفاته المدهشة، فتآلفت ألوان الأحمر والأزرق والزهري والأبيض في تكوينات عجيبة كحصن بقلاع عالية مهيبة، وخنادق عميقة عريضة. أما محراب القصر، فتميّز بأجمل النقوش والرسوم الفنية الساحرة للهندسة المعمارية؛ إذ يقف المرء مشدوهاً بجماله المطلق الذي يومض في كل زاوية، وينهض في كل موضع، ويربض في كلّ مكان، فيأخذ مشاهديه بعناصر الإثارة والإدهاش والذهول أمام صرح يفوق بجماله

ساحة القصر التي تذكّر بتلك الموجودة في قصر الحمراء بغرناطة



الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا تركا بصماتهما على قصر الجعفرية وكأنهما يطاردان كلّ أثر لمسلمي الأندلس

إسبانيا الأندلسية امتزجت بنا وامتزجنا بها، إننا جزء من تاريخهم، وهم جزء من تاريخنا



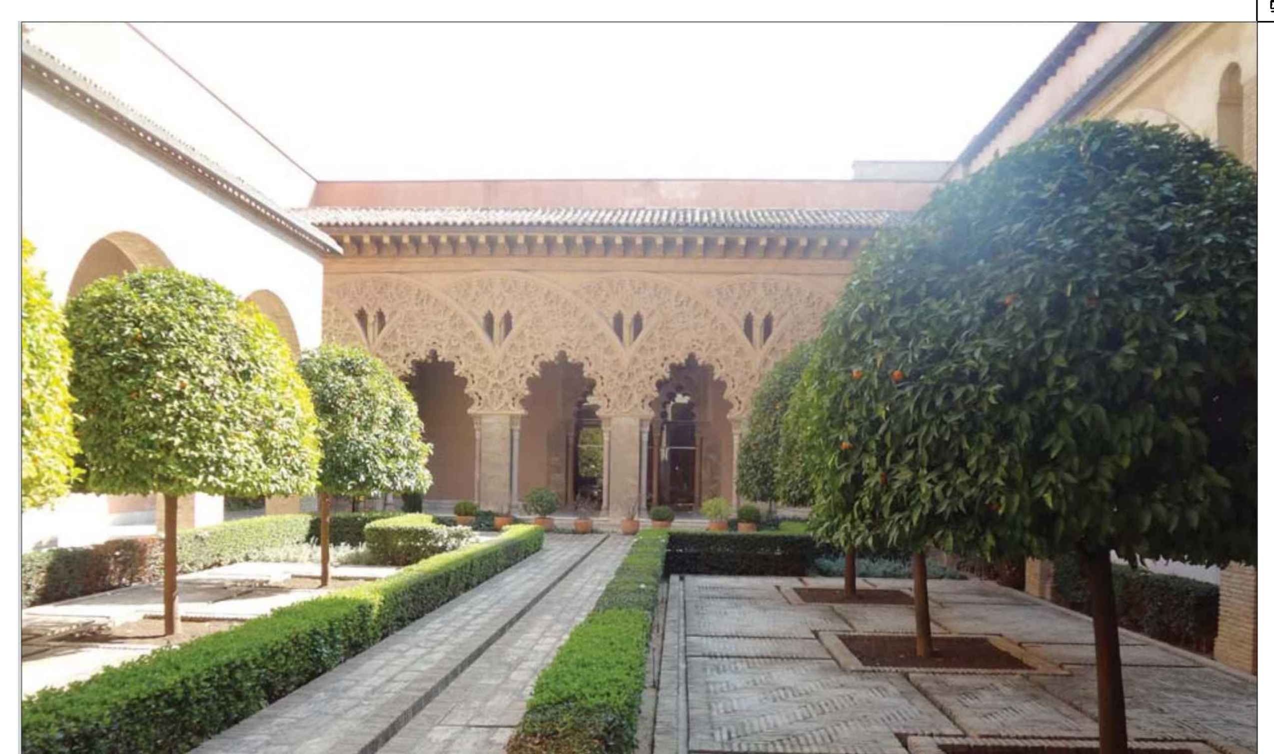
شطحات الخيال. ويحتوي القصر على صالة سُمِّيت بـ(صالة الذهب)؛ لما تتّسم به من سحر وجمال، تتوسّطها بئر عميقة تصل إليها المياه عبر قناة من نهر يتدفق بنوافيره وقنواته الممتدة عبر الحدائق الغناء المحيطة به، بينما زُيِّنت الجدران بنقوش جمالية، والسقوف بفسيفساء إسلامية. كما نُقشت على بعض القباب والجدران في قاعات القصر العليا آيات قرآنية كريمة ارتسمت بأجمل الخطوط العربية، أبرزها عبارة (الملك لله.. الملك لله) على نمط عبارة (لا غالب إلا الله) المنقوشة في مختلف قاعات قصر الحمراء ودهاليزه الجميلة. وقد خيّمت أجواء التسامح الإسلامي والتفاعل الثقافي بين المفكرين والعلماء والفقهاء في ذلك الوقت على القصر، فبدا أشبه بجامعة عريقة تتلاقى فيها العقول تجديداً وابتكاراً وعطاءً، وأدركت إسبانيا الأهمية الحضارية والثقافية لـ(قصر الجعفرية) بوصفه شاهداً على الحضارة العربية الإسلامية، فتم إعلانه عام ١٩٣١م نصباً وطنياً تاريخياً وحضارياً، كما حظي برعاية الدولة واهتمامها، فبدأت بترميمه وصيانته عام ١٩٧٤م على يد مهندسين متخصصين في الآثار الأندلسية؛ إذ عملوا بجدٍّ وعبقرية لإعادة تزيينه بصورته التراثية الأندلسية؛ ليكون في وقتنا الحالي صرحاً حضارياً يستهوي ملايين السياح الذين يقفون مشدوهين أمام

جمالياته وسحر فنه المعماري»[١].

وكان قصر الجعفرية جزءاً من قصبة سرقسطة؛ أي: حصنها المنيع الذي يقيم به الحكام والجند، وعدّ من أعظم القصور الملكية في العصور الوسطى وأضخمها، واشتهر في تاريخ الفن الإسلامي باسم (دار السرور)، ومن أجزاء القصر الإسلامية التي استعصت على التبديل بعض الأماكن الداخلية التي تُعرب عن طرازها الشرقي، وأيضاً بقايا المسجد الخاصّ بالمقتدر وحاشيته، وهي قاعة صغيرة بها عقدان عربيان وشريط به نقوش كوفية. وقد أحرق المكان من الداخل، ولم يبقَ منه إلا زخارف العقود، ويقال: إن الفرنسيين هم الذين أحرقوه أيام غزو نابليون أراضي الشمال الإسباني. وقصر الجعفرية، الذي كان عند تشييده من رموز السيادة الإسلامية على الأندلس، شاءت محاكم التفتيش أن تتّخذه مقراً لديوان التحقيق الأراجوني عام ١٤٨٥م. والمعروف أن هذه المحاكم كانت معنية بامتحان أهل الأندلس من المدجنين الذين قبلوا التنصّر نظير الإقامة بأوطانهم، وشمل نشاط هذا الديوان المعروف بعسفه وقسوته كل المسلمين واليهود الذين أعلنوا تنصّرهم بينما كانت الكنيسة الكاثوليكية تتشكّك في صحة اعتقادهم؛ لذا كانت

كلمات إسبانية من أصل عربي

زيت = Aceite – وتنطق: أثيته.
زيتون = Aceituna – وتنطق: أثيتونا.
أرز = Arroz – وتنطق: أروس.
سكر = Azucar – وتنطق: أسوكار.
الكيمياء = Alquimia – وتنطق: ألكيميا.
لوبيا = Alubia – وتنطق: ألوبيا.
خروب = Algarrobas – وتنطق: الخاروباس.
جبر = Algebra – وتنطق: الجيبرا.
القلعة = Alcala – وتنطق: ألكالا.
البناء = Albanil – وتنطق: ألبانيل.
الغارة = Algara – وتنطق: ألخارا.
القبة = Alcoba – وتنطق: الكوبا.
الترمس = Altramuz – وتنطق: التراموس.
الكحول = Alcohol – وتنطق: الكوؤل.
القطن = Algodon – وتنطق: الجودون.
الخرشوف = Alcachofa – وتنطق: الكاشوفا.
القصر = Alcazar – وتنطق: الكاسار.
المخدة (الوسادة) = Almohada – وتنطق: المؤادة.
المخزن = Almacen – وتنطق: الماسن.
زعفران = Azafran – وتنطق: أسافران.
ساقية = Acequia – وتنطق: أسيكيا.

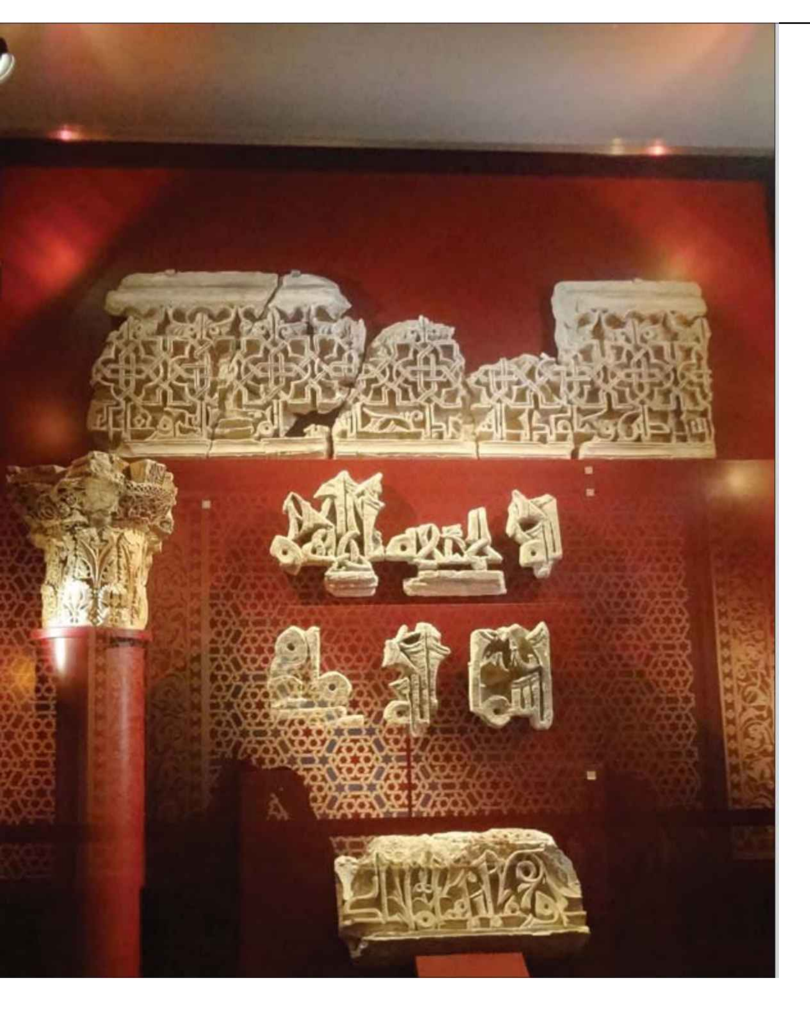




تلجأ إلى امتحان عقيدتهم، واستخدمت القسوة والتعذيب من أجل تغيير معتقداتهم إذا خالفت أفكار الكنيسة الكاثوليكية، وقد أعدم ديوان التحقيق أو محاكم التفتيش عدة آلاف من الذين شكّ رجال الدين في صحة عقيدتهم حرقاً في الميادين العامة، إضافةً إلى إحراق عشرات الآلاف من الكتب التي احتوت أفكار العرب والمسلمين وفلاسفة اليونان التي تتعارض مع الإيمان الكاثوليكي. واحتفظ قصر الجعفرية من حقبة محاكم التفتيش بتذكارات تماماً مثلما فعل مع كلّ العصور التي عاين أحداثها وشهد وقائعها؛ ففي الجانب الأيمن من القصر برج منيع بداخله سلّم حجري عريض وحجرات شيدت من الحجر الصلد، وكانت هذه الحجرات الضيقة الموحشة تستعمل سجناً للخاضعين لتحقيقات ديوان التحقيق الأراجوني. وكانت حفلات (الأوتودا فيه) تقام بالفناء الخارجي، ومنه يخرج المحكوم عليهم بالإدانة إلى الميدان حيث ينفذ فيهم حكم الإعدام وسط صيحات العامة ورجال الدين.

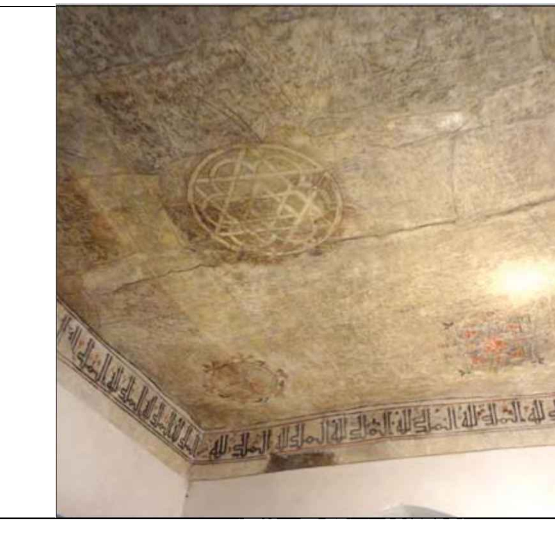
في ساحة سان برونو كاتدرائية OesaL التي كانت معبداً رومانياً حوله المسلمون إلى جامع كبير ثم تحول إلى كاتدرائية على يد الأراجونيين

اسم سرقسطة جاء من اسم القيصر الروماني سيزر أغسطس، الذي أسسها وأدخلها في الدين المسيحي



دار السرور: مخزن للذخيرة!!

في أواخر القرن الثامن عشر تم تحويل قصر الجعفرية إلى ثكنة عسكرية، وهُدمت أسواره الإسلامية القديمة، وأزيل أيضاً مصلى كنسي صغير أمر بتشييده بيدرو الرابع. ومن وقتها قُضي بصفة نهائية على المحاسن والبدائع العربية لقصر الجعفرية، وتحول إلى مجرد حصن ضخم مهيب يثير الرهبة في نفوس زوّاره، ولولا البقية الباقية من عقوده وزخارفه العربية الداخلية ما استحق الجعفرية أن يُذكر في قائمة الآثار الجديرة بالزيارة في سرقسطة. وقد انتقد العالم الإسباني مورينو هذا العدوان على الطابع الفني، مؤكداً أن ما أقدم عليه الإسبان «عمل بربري من أشد ما وقع في تاريخنا خزياً». وأخذ فريق من المفكرين الإسبان، أو بالأحرى من علماء الآثار والآداب الإسبان، منذ منتصف القرن العشرين في التخلص من آثار حروب الاسترداد النصرانية، وما أعقبها من مذابح محاكم التفتيش، وعدّوا الآثار الأندلسية جزءاً من التراث القومي للشعب الإسباني الجدير بالحفاظ عليه ودراسته بصورة علمية، وبفضل هذه النظرة الحضارية الجديدة تم نقل بعض قطع من العقود والزخارف العربية البديعة، وعدد من



بلغت حماسة بعض العلماء الإسبان لقصر الجعفرية حداً قام معه إنيجيث ألمش بوضع رسالة عنوانها: (هكذا كان قصر الجعفرية)، جمع فيها عدة تخطيطات ورسوم تاريخية حول القصر

تيجان الأعمدة التي كانت في البهو الذهبي إلى متحف مدريد الوطني حيث تعرض اليوم لزوار المتحف، ومن أكبرها عقد مفصّص يرتكز على عمودين صغيرين من الرخام الأبيض. بلغت حماسة بعض العلماء الإسبان لقصر الجعفرية حداً قام معه إنيجيث ألمش بوضع رسالة عنوانها: (هكذا كان قصر الجعفرية)، جمع فيها عدة تخطيطات ورسوم تاريخية حول قصر الجعفرية وأجنحته في عصور متعاقبة، كما ضمنها أيضاً صوراً لبعض عقوده وزخارفه التي نُقلت

سرقسطة مركز عسكري مهم، من مظاهره قاعدتها الجوية التي شكّلت فيما مضى معقلاً مهماً من معاقل حلف الأطلسي

قصر الجعفرية يحتوي على صالة سميت بـ(صالة الذهب)؛ لما تتسم به من سحر وجمال



للعرض في متحف مدريد الوطني، وزوّد عمله الرائع بعدة رسوم متخيّلة؛ كالبهو الذهبي، والمحراب، والواجهة.

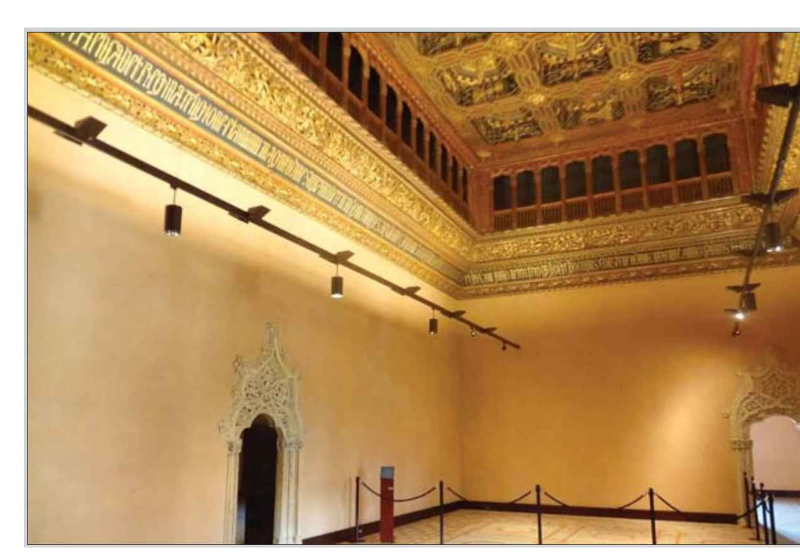
فرديناند وإيزابيلا: طرد الأثر

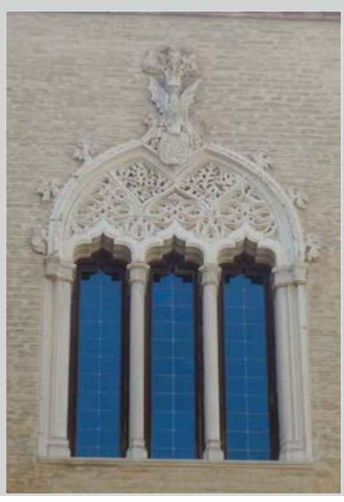
ترك الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا، اللذان وحّدا إسبانيا، وأطلقا محاكم التفتيش، بصماتهما على قصر الجعفرية وكأنهما يطاردان كلّ أثر لمسلمي الأندلس بعد انتهاء الحرب باحتلال غرناطة؛ ففضلاً عن شعارهما الذي يشير إلى وحدة إسبانيا، هناك أيضاً في القصر لوحة تذكارية بمولد إيزابيلا ملكة البرتغال سنة ١٢٧٢م، وكانت كلّ هذه الأبهة والقاعات الملكية تؤلّف المسكن الملكي، ويدلّ على ذلك فخامته وسقوفه المذهبة، حتى إن ملوك أراجون وملكاتها كانوا يُتوَّجون في هذا الصرح الملكي في حفلات باذخة.

وداعاً سرقسطة



بعد مغادرتي قصر الجعفرية كانت مشاعري مختلطة، كنت كمن يدور على مدار منسيّ من الزمن؛ إذ كنت محاطاً بصرامة التاريخ وجبروته وجمالياته وحكاياته. لم تكن مشاعري حيادية قط؛ فقصر بهذا البذخ الجمالي المفرط يمسك بتلابيب ذاكرتك ويعصرها؛ فأنت -بصورة







ما- مشارك بتركة المشهد عليك؛ فإسبانيا الأندلسية امتزجت بنا وامتزجنا بها، إننا جزء من تاريخهم، وهم جزء من تاريخنا، ولا مفرّ من هذه الحقيقة مهما راوغنا المفردات أو تدثّرنا بها. ما يمنحك العزاء أن ترى الإصرار الحضاري الإسباني المعاصر في الدفاع عن هذا الإرث الإنساني المشترك متمثّلاً في إدراك أهميته وصيانته والمحافظة عليه.

كانت الساعة تقترب من الخامسة عصراً، أجراس الاستعداد للمغادرة تُقرع، وساعات ما قبل الرحيل تطفو كرغوة رجراجة فوق روحك، لا أدري لماذا يجتاحني الحزن ويربكني حين أهمّ بمغادرة ألفتي الصغيرة (هذه الألفة قد تكون مكاناً أو شخصاً أو فلماً أو كتاباً)؟!. لتجاوز هذه الحالة قرّرت أن أمشي وأمشي من دون بوصلة، وتركت لسرقسطة أن تمارس غوايتها الأخيرة وما تبقى من سحرها عليّ. كنت مستسلماً بشكل طوعي، ومستغرقاً بالمراقبة الأخيرة للشوارع والبنايات التي تمرّ بي. رأيت اللمسات العربية في كثير منها، منفرداً حيناً ومجاوراً أو ممتزجاً بأثر الباروك وتكلّفه ومتناغماً مع العمارة الأخرى؛ كعمارة عصر النهضة، أو القوطية بأقواسها البارزة، وعقودها المضلعة؛ فالمدن كالبشر لها ذاكرتها المتعددة.

بعد ساعتين من المشي توقفت في مقهى صغير، وطلبت فنجاناً من القهوة التي تُعدُّ في إسبانيا بشكل رائع. على بُعد مقعدين مني رأيت عجوزاً إسبانياً يرتدي قبعة (بربيه) خضراء، وتلهّيت بالنظر إليه وهو ينثر للحمام مزقاً صغيرة من كيس خبز في يده. حين اقترب حبر المساء من صفحات النهار الأخيرة عرفت أن مماطلتي اقتربت من نهايتها، ولم يتبقَّ لي سوى وجبة العشاء الأخيرة التي قرّرتُ أن تكون فاخرةً قبل أن أشقى بالواجب الكريه المتمثّل في إعداد حقائب السفر.

في الصباح تركت الفندق، وتركت بعضاً من قلبي في زقاق سرّي، وأخفيته عن حزني كي لا يشي به، ومضيت في طريقي بالسيارة إلى العاصمة مدريد محفوفاً برغبة الاكتشاف، وكآبة الوداع؛ فوداعاً سرقسطة؛ فما أنا إلاّ أحد عشاقك العابرين، وما أكثرهم!!.

المراجع

(١) هنادي علي، موقع جوّاد الثقافي على الإنترنت، على الرابط: http://goo.gl/bx4Gl.

- الموسوعة الحرة على الإنترنت (ويكيبيديا wikipedia).

- محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار.

الربيع الذي رسم لوحته الأخاذة في الكروم، وأشجار الزيتون، وحقول الفواكه المزهرة، جعلني أدرك سر إنجاب إسبانيا هذا العدد الكبير من الفنانين العظام



قــراءة



الرحلة الميمونة إلى بيت الله الحرام لمساعد يعقوب البدر



تعددت الدوافع الداعية إلى التقلب في الأرض، والسير في مناكبها عند الناس، ما بين تجارية وعلمية ودينية وسفارية (دبلوماسية)، وهجرات جماعية مرتبطة بالظروف الطبيعية والبشرية التي تعرض للأمم والأقوام من كوارث وحروب ومحن، وقد حفظت لنا النصوص التراثية نماذج من الرحلات التي دونها الرحالون عن رحلاتهم هذه.

المهدي عيد الرواضية
عمان – الأردن

واستأثر الحجّ بالنصيب الأكبر من أدب الرحلة، وليس ثمة خادم لأدب الرحلات وتطوره في التراث العربي أكثر من أداء فريضة الحج، التي حدت بكثير من المسلمين إلى التوجّه -مع توافر الاستطاعة- نحو مكة المكرمة لأداء المناسك، فانجذبوا إليها من الأصقاع والبلاد كافةً: الدانية، والقاصية، متحمّلين مشقة السفر وما يمكن أن يعترض طريقهم من أخطار في البر والبحر؛ كقطع الطريق، ونفاد الماء والزاد، وهلاك الدواب، وهياج البحر، وتعطّل المراكب، وغير ذلك مما عاناه الحجاج على امتداد التاريخ الإسلامي.

ولئن كانت أغلب النصوص الرحلاتية التي وصلتنا من رحلات الحج هي مما تركه المغاربة والأندلسيون، ثم بعض رحلات الشاميين واليمنيين والعراقيين، إن رحلة مساعد يعقوب البدر (تُوفِّي عام ١٩٦٦م)[١] -بحسب محقِّق النصّ- هي «أول سجلّ موثّق لمسار حجاج الكويت بواسطة الجمال»، إذا استثنينا رحلة أسبق منها، هي الرحلة المنظومة للشيخ عبدالله خلف الدحيان، التي وثَّق فيها -شعراً- رحلته للحج سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ثم كانت عودته بطريق البحر لا البر، وهي الطريق الأكثر أماناً آنذاك للحجاج من الطرق البرية التي تخترق الصحراء.

نشرة الكتاب

وقعت نسخة الكتاب المخطوطة بين يدي الدكتور عبدالله يوسف الغنيم ضمن مجموعة من الوثائق المهداة من أسرة البدر المرموقة في الكويت، فعكف على دراستها وتحريرها وتهيئتها للنشر بعد أن لمس فيها ما يستوجب نشرها وإتاحتها لجمهرة الباحثين والقراء. وتقع كراسة الكتاب في ٣٣ صفحة، قيّد البدر

فيها تفاصيل رحلته بطريقة (التذكرة) أو (السجل)، بعد أن رسم في الصفحة مسارب أثبت فيها الوقت بالساعة والدقائق، وجعل المسرب أو الخانة اليسرى لتقييد تفاصيل الرحلة.

وينقسم الكتاب في نشرته الأنيقة إلى قسمين: يتضمن الأول نصّ الرحلة بعد أن أعاد المحقّق تحريره وصياغته من جديد؛ إذ إن الرحالة البدر دوّن خبر رحلته باللهجة المحكية الدارجة في كلام أهل الكويت مع أن سيرة حياته العلمية والعملية، وجمال خطّه، وضبطه الأسماء بالشكل، تشي بتمكّنه من الكتابة بالفصحى؛ فمن كلامه: «الساعة ٧,٣٠ ليلاً طاح علينا سيل عظيم، وتعطّلنا بأسبابه، والبارح توفِّيت امرأة من المفرح، وجهزناها الضحى، والساعة ٨,٣٠ من النهار أقبلت علينا أقبرة عظيمة جداً من الجبل، مقومها هوا ليس قوي جداً، والساعة ١٠ طاح وطاحت القبرة، وبعد المغرب رشت علينا»، وجاء النصّ المحرّر كما يأتي: «نزل علينا مطر وسيل عظيم أقمنا بسببه في ذلك اليوم في مكاننا، وتُوفِّيت سيدة من المفرح؛ فجهزت ودفنت ضحى ذلك اليوم. وجاءنا غبار عظيم من الجبل دون أن يصحب ذلك هواء قويّ، وانجلى الغبار، وبعد المغرب نزل شيء من المطر»[٢]. وقد أجاد المحقّق إخراجها على هذا الوجه، وهو الذي عانى تحقيق كتب الجغرافية والرحلات، فأضفى عليها ذلك النفس الرحلاتي الذي تمتاز به كتب الرحلات العربية، كما خدم نصّ الرحلة بأن أدرج كثيراً من الخرائط والصور الجوية التي تناسب النصّ الذي يقابلها بما يتيح للقارئ متابعة المنازل التي ذكرها الرحالة على الخريطة أو الرسم المقابل لها.

أما القسم الثاني، فيحتوي على صورة الأصل المخطوط، وتُقابل كلّ صفحة منها شروح وتعليقات للألفاظ والأسماء وغريب الكلمات والمصطلحات الواردة في المتن، وتعريف بالمواضع والأمكنة المذكورة، وضبط أسماء المواضع التي أوردها المؤلف بحسب ما يلفظها.

لقد بذل المحقّق الدكتور الغنيم جهداً كبيراً في تحرير النصّ وتقويمه؛ حتى أعاده إلى حظيرة النصوص الرحلاتية المهمة، وخلّصه من كثير من الألفاظ والمصطلحات العامية التي حفل بها الكتاب، وهو مع ذلك وضع أصل الرحلة بخطّ كاتبها، فأتاح للدارسين فرصة الاطلاع على أسلوب كاتبها ومنهجه واللغة التي استخدمها.

ونشرة الكتاب لا تقدم نصاً محقّقاً مخدوماً بالتعليقات والشروح والخرائط القيمة فحسب، بل تشتمل على تعريف بصاحب الرحلة حسبما تحصّل من ترجمته العزيزة والقليلة، وعلى دراسة علمية لطريق الحج البرية المسلوكة من الكويت إلى الحجاز منذ خروج القافلة أو الحملة خلف أسوار المدينة، ووصول الجهراء أول المنازل، ثم المرور بالبلاد النجدية عبر درب زبيدة التاريخي. فجاء عمل المحقق على أتمّ ما يكون، مستفيداً من دراساته وبحوثه السابقة لمنطقة الجزيرة العربية، التي جاس خلالها دروبها ومسالكها في أثناء دراسته أعمال أبي عبيد البكري ونصر الإسكندري وغيرهما من جمهرة الجغرافيين الأوائل، ومعرفته التامة بالمنازل التي مرّ بها الرحالة البدر أو أقام بها.

ويعرض على البال سؤال يتّصل بهذا المنهج الفريد الذي اتّبعه الرحالة في تدوين خبر رحلته هذه؛ فقد خالف التقاليد المعتادة في الكتابة الرحلاتية

تبرز قيمة الرحلة في احتوائها على أسماء عدد كبير من المواضع والمنازل الواقعة على طريق الحج الكويتي التي مر بها الرحالة البدر

بأن جعل كلامه يقتصر على إيراد معلومات دقيقة مقتضبة خالية من العواطف واللواعج التي يمكن أن تختلج في صدر المفارق وطنه وأهله، وخالية أيضاً من الأشعار التي دأب الرحالون-بتفاوت فيما بينهم- في إيرادها عند بسط رحلاتهم، ولم يعتنِ أيضاً بذكر من لاقاهم من علماء وغيرهم. ثم إنه لم يضمّن رحلته مقدمةً ولا خاتمةً؛ فقد بدأ مباشرةً بسرد تفاصيل الرحلة من دون أيّ تقديم أو إشارة لكيفية عزمه على السفر والترتيبات التي اتخذها للقيام بها، وختم الرحلة بذكر عودته إلى الكويت يوم ٢٣ مايو ١٩٣٢م بعد غياب نحو ثلاثة أشهر عن

إن رحلة مساعد يعقوب البدر هي أول سجلّ موثّق لمسار حجاج الكويت بواسطة الجمال، إذا استثنينا رحلة الشيخ عبدالله خلف الدحيان



موطنه، وهو يذكّرنا -في اقتضاب معلوماته، وتوثيقه المنازل بالساعات- برحلة داوود السعدي التي وثّق فيها تفاصيل سفره للحج من الأحساء إلى مكة المكرمة سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٢م[٣]. والجدير بالذكر أن السعدي عند عودته، ووصوله إلى بلدة عنيزة، ودّع ركب حجاج الأحساء، وتوجّه إلى الكويت، وأقام بها خمسة أيام، ووصفها بأنها «بلدة معمورة خالية من البساتين والنبات، قليلة المياه... وتحرّكنا منها صحبة صاحب الرفعة مبارك الصباح إلى (الجهرة)؛ منتزه لأهل الكويت فيها قصور ونخيل قليلة»[٤].

ولعل الاحتمال الذي يمكن افتراضه أن الرحالة البدر قد دوّن ملاحظات مقتضبة مشفوعة بذكر أسماء المنازل، وتحديد المسافات فيما بينها بحسب المسير بالساعات والدقائق، وألمع إلى بعض المشاهدات والملاحظات التي رآها، قيّد ذلك لنفسه مسودةً لرحلته بنيّة استكمالها عند تبييض النسخة فيما بعد، والتوسع في شرح الحوادث والمشاهدات التي اختزنتها ذاكرته، ثم إنه -لسببٍ ما- تجاوز عن ذلك، أو صرف النظر عنه. ويدعم هذا الافتراض ذكره الاسم الأول أو اسم الشهرة للأشخاص الذين برفقته، فيذكر ممن كان برفقته: صالح[٥]، وإبراهيم[٦]، ومحمد[٧]، الذين تولّوا ورود الماء وجلبه في أكثر من موضع، ذكرهم بأسمائهم الأولى فقط؛ لمعرفته الكاملة بهم، وضمان أن ذاكرته لن تغفل عنهم، بينما يذكر بقية الأسماء كاملةً، خشية أن يطولها النسيان؛ فمثلاً: نجده يذكر الحجّاج الكويتيين الذين قابلهم في المدينة ممن جاء بطريق البحر بأسمائهم الكاملة[٨].

ركب الحاج الكويتي

لعل رحلة البدر صحبة ركب الحجاج هي من آخر الرحلات التي كانت تتمّ على ظهور الجمال؛ ليبدأ بعد ذلك استخدام السيارات والحافلات في نقل الحجاج. ويمكن التماس بعض الإشارات العارضة في أثناء الرحلة



خالف البدر التقاليد المعتادة في الكتابة الرحلاتية بأن جعل كلامه يقتصر على إيراد معلومات دقيقة مقتضبة خالية من العواطف واللواعج

عن مكوّنات الركب؛ فالرحالة يشير إلى حملات متعددة، منها: حملة الفلاح[٩]، وحملة ابن حمود، وحملة عثمان الراشد[١٠]، وحملة الشيوخ[١١]، وقدّر عدد الخيام التي أقيمت بأحد المنازل في طريق الذهاب بنحو ٥٠ خيمة[١٢]، ولعل هذا الرقم متعلّق بالحملة التي انتظم البدر فيها، وليس بكامل الركب؛ إذ يذكر نزولهم في موضع آخر، وقدّر عدد المركوبة (الهوادج) ضمن حملته بنحو ١١٠ جمال[١٣]، إضافةً إلى بقية الحملة التي وصلت بعد نحو ساعتين، أما بقية الحملات فقد التحقت بهم في الأيام التالية لنزولهم، ويمكن تقدير كامل حجاج الكويت في ذلك الوقت بنحو ألف حاج على التقريب.

ويلفت النظر أن قافلة الحجاج لم تسرْ مجتمعةً؛ فقد كان بعض الحملات يتقدم أو يتأخر، وقد يكون بين اجتماعهم ساعات أو أيام[١٤]. وهذا خلاف ما كانت عليه مواكب الحج من الأقطار الأخرى التي كانت تسير مجتمعةً طلباً للأمن، وتجنباً للضياع، واستقواءً على مواجهة الأخطار، وربما كان تفرّق الحملات مرتبطاً بتجنّب التزاحم على موارد الماء، أو لأمور تتعلق بظروف كلّ حملة، ومقدرة أفرادها على مواصلة السير، أو الرغبة في التوقف.

خط سير الرحلة

خرج ركب الحجاج من الكويت صباح يوم الخميس ١١ شوال سنة ١٣٥٠هـ/ ١٨ فبراير ١٩٣٢م، وبعد نحو خمس ساعات وصلوا إلى الجهراء أولى منازل الحج، ثم والى الحجاج اجتيازهم منازل الحج الواحد تلو الآخر على الطريق المعتاد منذ زمن قديم، وبعض هذه المنازل هي التي يشملها الطريق التاريخي القديم

(درب زبيدة)، فمن بريدة حتى المدينة المنورة التي أمضى الرحالة فيها أربع ليالٍ كاملة، انطلق بعدها نحو مكة، فأحرم بالضريبة، وهي ميقات أهل العراق، واقتصرت معلوماته -في أثناء إقامته بمكة- على ذكر أدائه مناسك الحج، وألحق بذيل الرحلة وصفاً مقتضباً للكعبة المشرفة والمسجد الحرام وبعض المعالم فيه، لكنه تجاوز عن ذكر معالم المدينة المقدسة، وبيوتها، وشوارعها، وأزقّتها، ودروبها، ولم يذكر شيئاً عن الحجاج أو عددهم في ذلك الموسم، وما رآه من طباع بعضهم وعاداتهم؛ فرحلته تخلو من النظرة إلى الآخر، ولا نتوقع منه توقفاً أو التفاتة إلى أهل الحجاز وبعض الحجاج القادمين من نواحي الجزيرة العربية، إنما كان تشوّقنا إلى ما علق بذهنه مما رآه من حجاج بقية الأقطار الإسلامية الأخرى.

وكانت إقامته بمكة نحو أسبوعين، عاد بعدها إلى الكويت على الطريق ذاته تقريباً، فوصل منزله يوم الاثنين ١٧ المحرم سنة ١٣٥١هـ/ ٢٣ مايو ١٩٣٢م.

القيمة العلمية للرحلة

تبرز قيمة الرحلة في احتوائها على أسماء عدد كبير من المواضع والمنازل الواقعة على طريق الحج الكويتي التي مرّ بها الرحالة البدر ونزلها، عدّد منها نحو ٢٥٠ موضعاً، فذكرها ووصف موضعها وهيئتها بإيجاز شديد، وأبدى حرصاً بالغاً على تقييد أسمائها، منها ما هو معروف باسمه حتى اليوم، وأخرى تغيّرت أسماؤها، أو اندرس رسمها، وجهل اسمها، وكان البدر حريصاً على عدم تجاوز ذكر أيّ مرحلة من مراحل الارتحال؛ فهو ينبّه على عدم معرفته بأسماء بعض المواضع إذا تعذر عليه ذلك[١٥]، وقد ميّز أسماء المواضع باللون الأحمر، وضبط بعضها بالحركات والشكل.

الوصف الجغرافي

يصف الرحالة البدر طبيعة الموضع إن كانت سهليةً أو جبليةً، منبسطةً أو تلاليةً، وهيئتها من حيث السهولة أو الوعورة[١٦]، بحسب ما عانته جمالهم في أثناء المسير، ويشير إلى طبيعة الأرض والتربة، صخريةً أو طينيةً[١٧]، أو بركانيةً (الحرات)[١٨]، أو سبخةً (مستنقعات)[١٩]، ويذكر المواضع التي تغطيها الكثبان الرملية التي عاقت أحياناً رؤية ما خلفها من قرى[٢٠]، ويكرّر ذكر الأرض الخبرة[٢١]، والدحول المنتشرة على امتداد الطريق[٢٢]، ويُولي الرحالة اهتماماً بوصف الجبال والتلال، وبيان أحجامها وأشكالها: بيضاوية، أو مخروطية، أو كروية، أو منبسطة، أو مستطيلة[٢٣]، ويورد كثيراً من المصطلحات والأسماء المتعلقة بالأشكال الأرضية التي شاهدها.

الجانب الاجتماعي

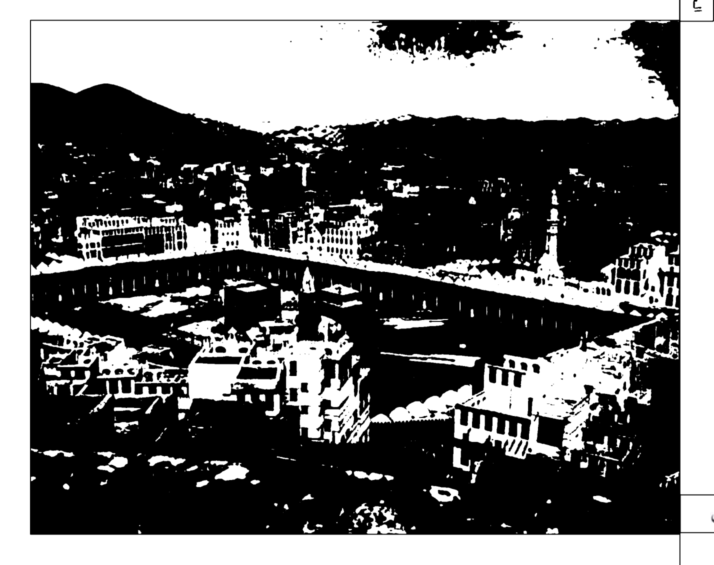
يشير البدر في أثناء اجتيازه المنازل بين الكويت والحجاز إلى بعض القبائل القاطنة فيها، وذكر شيوخها، وجلّهم من بني حرب؛ إحدى القبائل الكبيرة في الجزيرة العربية، فقبل وصول القافلة إلى بريدة بعدة منازل وجدوا ثلاث آبار للماء في حماية الفرم من قبيلة بني حرب[٢٤]، وفي يد بني حرب أيضاً قرية الدليمية، وشيخها ابن جديع[٢٥]، وقرية الذيبية، وشيخها ابن مريخان[٢٦]، وعدد سكان قرية الفوارة -المسماة باسم جبل يقع بقربها- نحو ١٠٠٠ شخص، وأميرهم يدعى ابن نحيت من قبائل

استأثر الحج بالنصيب الأكبر من أدب الرحلة، وليس ثمة خادم لأدب الرحلات وتطوره في التراث العربي أكثر من أداء فريضة الحج

حرب من بني سليم[٢٧]، وابن نحيت المذكور هو الأمير حجاب بن محسن بن نحيت. وفي بلدة البرود بيوت كثيرة، وسكانها من حرب[٢٨]، وكذلك سكان بلدة عقلة الصقور من قبيلة حرب[٢٩]، أما قرية الليم (صوّبها المحقّق بلفظ اللسيب: جنوب غرب بريدة)، فيسكن بها علي المزعل، وهو من قبيلة عنزة، وبقربها قرية القصيعة التي يسكنها إبراهيم الحفيتي[٣٠]. كما يشير البدر إلى نزوله على جماعة من البدو القاطنين في تل بيضان[٣١]، ونزوله بموضع يدعى الحفر، يسكنه كثير من البدو[٣٢].

الجانب الزراعي

ولا تقتصر قيمة الرحلة على ما قدمته من معلومات جغرافية عن منازل الحج بين الكويت ومكة المكرمة، بل تنصرف قيمتها إلى جملة من الإشارات المهمة المبثوثة في أثنائها؛ كذكر بعض النباتات والأشجار التي صادفتها القافلة، مع عناية واضحة من الرحالة تجاهها؛ فقد شاهد أشجار السدر[٣٣]، والعرفج[٣٤]، وشجيرات العشر Calotropis Procera[٣٥]، وأشجار النخل[٣٦]، والحمض، والنصي، والحماط[٣٧]، والثمام[٣٨]، وشجر الدوم الذي شبّهه الرحالة بشجر النخل مع تفرّع جذعه، وثمره الذي لا يؤكل[٣٩]، وشجر الطلح[٤٠]، وشجيرات الرغل[٤١]، إضافةً إلى ذكره كثرة الأشجار في بعض المواضع من دون أن يعدّد أسماءها[٤٢]، وكذلك ذكر المراعي المعشبة المواتية للجمال والدواب[٤٣]، أو المناطق المجدبة[٤٤]، وصادف حقول القمح بقرية ثادج (ثادق قديماً)[٤٥].



الموارد المائية

من الطبيعي أن تحتلّ النظرة إلى الماء، وتتبّع أماكن وجوده، حيزاً في اهتمامات الرحّالين بشكل

انطباعات ومشاهدات

استرعت انتباه الرحالة البدر جملة من الملاحظات، منها ما لاحظه في طريق عودته من أن أهل قرية الشبيكية (وهي الثناءة القديمة) متدينون ومتعصبون جداً، ذكر ذلك بعد أن مرّ بكثير من المنازل في طريق الذهاب والإياب؛ مما أعطاه قدرةً على المقارنة بين أهالي القرى التي مرّ بها، لكنه لم يفصل مشاهداته عن أهل القرية وما رآه ولمسه منهم وأدى به إلى هذا الحكم والتقرير. ومن ملاحظاته أيضاً ما يتّصل برؤية النقوش على الأحجار والصخور؛ ففي طريق العودة، وبعد مروره بجبل جهي، وصل إلى صخرة مكتوب عليها كتابة لم يتمكّن البدر من قراءتها. وعلى الرغم من أن دخول السيارات إلى الكويت سابق على زمن الرحلة بنحو عقدين من الزمن إلا أن الرحالة يُولي انتباهاً لطريق السيارات (المواتر)؛ فهو يشير إلى آثار مرور السيارات، أو ما تتركه عجلاتها على الأرض، فيسيرون عليها، وأحياناً بموازاتها. ويذكر البدر أنه استقبل عند عودته من الحج في موضع آبار الرقعي (على الحدود الكويتية السعودية الآن) بسيارة الشيخ عبد السلام، وسيارة الشيخ سعود، وعادوا جميعاً بها نحو الجهراء.

(*) الرحلة، ص٤٩، ٥٥، ٥٧، ٧٧، ٨٧، ٨٩، ١٠٩.

وربما كان الماء المجلوب ذا رائحة كريهة، وطعم لا يستساغ[٤٧]، وكان ماء بعض الآبار رديئاً أيضاً[٤٨]، أو متوسطاً[٤٩]، وربما أراد توسّطه في الوفرة، كما شاهد بعض الآبار القديمة[٥٠]، ومنها آبار جافة[٥١].

الصعوبات والعوائق

جرياً على عادة المؤلف في الابتعاد من التفصيل والإيضاح؛ فقد خلت الرحلة من بسط للصعوبات والعوائق التي واجهتها القافلة في مرحلتي الذهاب والعودة، وقد نبّه المحقّق على أن «ما أشار إليه الرحّالة من صعاب في رحلته لا يتجاوز الواقع الذي كانت عليه ظروف الطرق في الجزيرة العربية في ذلك الوقت»[٥٢]. ومن اللمع القليلة التي ذكرها الرحالة حول ذلك: قلة الماء أحياناً[٥٣]، وضياع جمال القافلة في مرحلة الذهاب[٥٤]، وضياع جمال للعوازم[٥٥]، وضياع جمال لأحدهم؛ مما أخّر القافلة مدةً من الزمن حتى وجدوها في صباح اليوم التالي[٥٦]، وكان جمل البدر قد أصيب في رحلة الذهاب، وبرك في أثناء اجتيازهم منزلة العقبة بين عين الليمون وعين البرود، ثم نهض بعدها ليواصل السير[٥٧]، كما تاه بعض الحجاج في الطريق، ولم يتم العثور عليهم إلا في صبيحة اليوم الذي يليه[٥٨]، ومن الحوادث التي وقعت أن امرأةً حاملاً أسقطت جنينها، فتأخرت الحملة لأجل ذلك[٥٩].

ومن الظواهر الطبيعية التي أعاقت مسير القافلة في أكثر من موضع نزول المطر، وتشكّل السيول أحياناً[٦٠]؛ فعندما تصبح الأرض زلقةً يتعذر معها المسير، وقد سقطت نتيجة الانزلاق بعض الجمال في الطريق بين بريدة والمدينة المنورة، وكان من بينها جمل الرحالة (الأشقح)[٦١]، وعانت الحملة كذلك من الغبار الشديد[٦٢] وفي الأغلب يليه مطر، فيسكن الجو، وتواصل الحملة سيرها. وذكر البدر إصابته بالسخونة (الحمى) في أثناء أداء مناسك الحج، فتعذّر عليه رمي الجمرة الوسطى، وأناب عنه من يرمي الجمرات[٦٣].



يصف الرحالة البدر طبيعة الموضع إن كانت سهليةً أو جبليةً، منبسطةً أو تلاليةً، وهيئتها من حيث السهولة أو الوعورة، بحسب ما عانته جمالهم في أثناء المسير

عام؛ فالقدرة على مواصلة السير مرتبطة بتوافر الماء لشرب الحجاج، وسقاية جمالهم. ويذكر الرحالة البدر إرسالهم عدداً من الأشخاص لورود الماء ونقله إلى الحجاج بواسطة القرب، أو استخراج الماء المتجمع من الأمطار (الثمايل) بعد حفر الأرض قدر ذراع[٤٦]،

إضافة نوعية

وختاماً، فإن كتاب الرحلة، الواقع في نحو مئتي صفحة من القطع المتوسط العريض، بورقه الصقيل، وإخراجه الجميل، يعدُّ إضافةً نوعيةً إلى المكتبة الجغرافية والتراثية، بما احتواه من إفادات قيمة عن طريق الحج الكويتي، وما أضافه محرّر الكتاب من وسائل خادمة للنصّ ومعينة على تتبّع المنازل، تجاوز فيها الدكتور الغنيم دور المحقّق إلى أبعد من ذلك بإعادة صياغتها وتحريرها على أظهر الوجوه وأحسنها.

الهوامش والمراجع

(١) كتاب: من الكويت إلى مكة المكرمة (الرحلة الميمونة إلى بيت الله الحرام)، كتبها: مساعد يعقوب البدر عام ١٩٣٢م، وحرّرها وقدّم لها: د. عبدالله يوسف الغنيم، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠١١م.
(٢) الرحلة، ص٤٧، ١٢٧.
(٣) رحلة داود السعدي من الأحساء إلى مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ١٢٨٨هـ، مجلة العرب، دار اليمامة، ج١١، ١٢، س٢٨، الجماديان ١٤١٤هـ/ نوفمبر- ديسمبر ١٩٩٣م، ص٧٦٢- ٧٧٢.
(٤) المرجع نفسه، ص٧٦٩.
(٥) الرحلة، ص٣١، ٣٣، ٣٧، ٣٩.
(٦) الرحلة، ص٣٧، ٥٥.
(٧) الرحلة، ص٥٣.
(٨) الرحلة، ص٥٧.
(٩) الرحلة، ص٤٣، ٤٥، ٤٩.
(١٠) الرحلة، ص٤٣، ٤٥، ١٠٩.
(١١) الرحلة، ص٨٥.
(١٢) الرحلة، ص٣٣.
(١٣) الرحلة، ص٤٣.
(١٤) الرحلة، ص٣٣، ٤٣، ٤٥، ٨٥، ٩١، ٩٣، ٩٧، ١٠١.
(١٥) الرحلة، ص٥٩، ٦١، ٦٥.
(١٦) الرحلة، ص٣٧، ٣٩، ٤١، ٥٣، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٩، ١٠٣.
(١٧) الرحلة، ص٤١، ٥١، ٦٣، ٦٥، ٩٣، ٩٩.
(١٨) الرحلة، ص٦٣، ٧٧، ٩١، ٩٧، ١٠٣.
(١٩) الرحلة، ص٥٩، ٦٣، ٧٧، ٧٩، ٩٥، ٩٧، ٩٩.
(٢٠) الرحلة، ص٨٣، ٩٥، ٩٧، ٩٩.
(٢١) الرحلة، ص٣١، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٧٩. الخبرة: وجمعها المؤلف على خباريّ، وعنى بها الأرض المنخفضة، وهي قيعان مستديرة يجتمع فيها الماء، وربما سُمِّيت بهذا الاسم لما ينبت فيها من نبات الخبر، وهو شجر السدر. انظر: لسان العرب، مادة (خبر).
(٢٢) الرحلة، ص٣٥، ١٠٥. والدحول أو الدحلان: واحدتها دحل، وهي الحفر المتشكّلة بفعل المياه في الصخور الجيرية، وتكثر في إقليم الصمان بالجزيرة العربية. انظر عنها البحث القيم الموسوم بـ: (الدحل والدحلان في المصادر العربية القديمة)، ضمن كتاب: بحوث في التراث الجغرافي العربي، للدكتور عبدالله يوسف الغنيم، الكويت، ٢٠٠٦م، ص٨٧- ١٢٢.
(٢٣) الرحلة، ص٦٣، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٣.
(٢٤) الرحلة، ص٣٩.
(٢٥) الرحلة، ص٤٥.
(٢٦) الرحلة، ص٤٧.
(٢٧) الرحلة، ص٥١.
(٢٨) الرحلة، ص٩٩.
(٢٩) الرحلة، ص٥١.
(٣٠) الرحلة، ص٩٥.
(٣١) الرحلة، ص٦٣.
(٣٢) الرحلة، ص١٠٧.
(٣٣) الرحلة، ص٣٥، ٣٧، ١٠٥، ١٠٧.
(٣٤) الرحلة، ص٣٧، ٨١.
(٣٥) الرحلة، ص٣٥.
(٣٦) الرحلة، ص٤٣.
(٣٧) الرحلة، ص٨١.
(٣٨) الرحلة، ص٥٣، ٦٥، ٨١.
(٣٩) الرحلة، ص٥٥، ٧٧.
(٤٠) الرحلة، ص٥٧، ٦٥.
(٤١) الرحلة، ص١٠٥.
(٤٢) الرحلة، ص٣٣، ٥٩، ٦٣، ٦٧، ٧٣، ١٠٣.
(٤٣) الرحلة، ص٥٣، ٦٣، ٦٥، ٧٥، ٧٧، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٩٩، ١٠١.
(٤٤) الرحلة، ص١٠٧.
(٤٥) الرحلة، ص٤٩.
(٤٦) الرحلة، ص٥٥، ٩٣.
(٤٧) الرحلة، ص٥٥.
(٤٨) الرحلة، ص٨١.
(٤٩) الرحلة، ص٨٥.
(٥٠) الرحلة، ص٧٧، ٧٩.
(٥١) الرحلة، ص٣٥.
(٥٢) الرحلة، ص٢٣ (مقدمة المحقّق).
(٥٣) الرحلة، ص٣٩.
(٥٤) الرحلة، ص٣١.
(٥٥) الرحلة، ص٣٧.
(٥٦) الرحلة، ص٦١.
(٥٧) الرحلة، ص٦٧.
(٥٨) الرحلة، ص٥٧.
(٥٩) الرحلة، ص٤٥.
(٦٠) الرحلة، ص٤١، ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٩٣، ٩٧.
(٦١) الرحلة، ص٥١.
(٦٢) الرحلة، ص٤٣، ٤٧، ٥١، ٩٧، ١٠١.
(٦٣) الرحلة، ص٧١.

تاكيشي إيشيكاوا(*)
ترجمة: وفيق فائق كريشات
اللاذقية – سورية

الطريق إلى البحر

سأمضي حتى أرى البحر.. على هذا عزم الصبي. كان من الصبيان الذين متى وضعوا في رأسهم شيئاً لم تُثنهم عنه المجانيق ولا النبال، ومن غير أن يكلم أباه أو أمه خرج من المنزل.

أيّ طريق هي الطريق إلى البحر؟ لم يكن الصبي يعلم، بيد أنه لو ظلّ يمضي في جهة واحدة لبلغ البحر حتماً طال الزمان به أم قصر، كائنة ما تكون الطريق التي يسلكها. كذا كانت حكمة الصبي الذي بلغ السادسة منذ عهد قريب.

لم يرَ الصبي بحراً البتة اللهم إلا في كتبه المصوّرة. ينبسط المحيط المفتوح بلا حدود مملوءاً بالماء الأزرق في كل الأرجاء، فيه حوت، وقرش، ونورس، وحورية، وأخطبوط، وعشب البحر، ومرجان، وخلد، وهناك وهنا، وهنا وهناك مرة أخرى، مركبات طافية كبيرة تدعى سفناً، وتلك الواحدة هي سفينة ذات جمجمة يركب فيها قراصنة يحمل كلّ منهم وشماً، والأفق في البحر ماء، ماء، لا شيء سوى الماء تراه مهما نظرت، كيف سيكون منظر شيء كهذا؟.

لم يُطق عقله أن يتتبع هذه الكثرة من الماء، وانجرف الصبي مع الأحلام الملونة بزرقة السماء والبحر، ومشى متثاقلاً نحو مقصده، وعند آخر البلد التقى شيخاً. كان دأب هذا الشيخ الجلوس في ذلك المكان على جانب الطريق، يحدق في السماء، كان في رأسه شيء يدعو إلى الهزء.

– «هيه، أيها الصبي» نادى الشيخ، «إلى أين تذهب؟».

«إلى البحر»، قالها الصبي ومضى في سيره.

«البحر»، وفتح الشيخ فمه الخلو من الأسنان، وضحك «هذا أمر حسن»، وقبض على ذراع الصبي وجذبه، فوقف. «ذاهب إلى البحر؟ طيّب، عليك أن تذهب إلى السماء أولاً»، وأشار إلى السماء بإصبع مغضنة لا تكفّ عن الارتعاش، «البحر هناك فوق رأسك».

في السماء الزرقاء الصافية لم يكن سوى الشمس تتلألأ ساطعة. لم ينطق الصبي بكلمة، وتفلّت من الشيخ ومضى مهرولاً وقد عضّ على شفتيه، وبقبق بلسانه: لقد بلغ الكبر من الشيخ مبلغه، لقد اختلط عليه عقله.

***

وما لبث الصبي أن بلغ تلاً صغيراً. وقف على رأس التلّ، ونظر حوله في الجهات كلها، بيد أنه لم يكن يحسّ البحر في مكان ما. ونزل الصبي على أليتيه، وتناول شيئاً، وشرع يأكل وهو يتفرج على الانزياح التدريجي لما على الأرض من ظلال ألقتها الشمس وهي تمرّ ببطء.

وراء السهل كانت سلسلة من الجبال وقد أوشكت الشمس أن تبدأ في الانحدار نحو تلك الجهة. تغرق الشمس في البحر، هكذا سمع، إذاً لنرَ ماذا في الجانب الآخر. وقوّم الصبي ظهره، وأطبق شفتيه بإحكام، وثبّت عينيه على التلال البعيدة، وشرع في المشي.

كان وراء الجبال جبال، وانبسط وراء تلك الجبال سهل، وعند آخر السهل قابلته سلسلة أخرى من التلال. وظل الصبي يمشي وحده، ولم يلق بلدةً، ولا قريةً، ولا شخصاً، ولا مخلوقاً حياً. وأخذت مؤونته من الطعام والماء تقلّ على نحو محزن، ولم يدرك أنّى للبحر أن يكون بعيداً على هذا النحو. وثابر الصبي على المشي. كم مرة نام على الأرض؟ ليس لهذا شأن. في نومه، وفي مشيه، لم يكفّ عن رؤية ما في مخيّلته من صور للبحر. لقد اتخذ كلّ شكل من أشكال البحر؛ فكان سمكةً حيناً، وقرصاناً حيناً آخر، وميناءً طوراً، وشراعاً نفخت فيه الريح طوراً آخر، والآن سفينة كفأتها العاصفة، وغسلتها الرغوة ورذاذ البحر، وخرقتها الصواعق المحرقة، وضربتها الرعود القاصفة، وهاهي ذي قد أوشكت على الغرق.

لقد كفّت رجلا الصبي عن المشي منذ هنيهة، وهاهما ذا قمران يسكبان ضوءهما على جسم صغير ساكن ملقًى على رمل الصحراء البنيّ الضارب إلى الحمرة. كان لبذلة الفضاء مدًى مقداره مئتا ساعة، وهاهي ذي قد توقفت عن العمل توقفاً كلياً. كان الصبي يبتسم ابتسامةً لطيفةً وقد انقطع نفسه، وتحت سماء ليل المريخ استلقى مستقبلاً بوجهه نجماً أخضر، الأرض السابحة في الفضاء. كان البحر هناك، بيد أنه ليس في وسعه بلوغه أبداً. ما عاد أحد يرجع إلى هناك.

(*) كاتب ياباني.

قصة



استيقظ مبكراً تكن مبدعاً

علــوم

خلق الله سبحانه وتعالى عباده، ووضع لهم ناموساً يسيرون عليه؛ فمن اتبعه واهتدى به فقد آمن نفسه من أهوال كثيرة في دنياه وأخراه، ومن انحرف عنه فقد خسر نفسه وصحته ودنياه وأخراه.

رضا محمد العراقي
القاهرة – مصر

والناموس الإلهي متعدد في مزاياه؛ فالنوم نعمة أنعم الله بها على الإنسان لكي يستطيع مسايرة حياته بشكل طبيعي وتلقائي، فيمارس هذه النعمة حتى يجدّد نشاطه البدني والعقلي والنفسي، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ: ٩-١١)؛ فبيّن سبحانه أن الحياة تمضي بهذا الناموس بين معاش النهار بنشاطه العقلي والذهني والنفسي، وسكون الليل ولباس الخلود والراحة؛ فالنوم ضرورة حياتية للإنسان لا يمكن استمرارية الحياة من دونه؛ فهو كالغذاء للجسم لا غنى عنه. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: «بُورك لأمتي في بكورها»، أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد وأبو نعيم.

وكان صلى الله عليه وسلم يحضّنا على ألا نجتمع بعد صلاة العشاء إلا لطلب العلم؛ فالإنسان المسلم يجب أن يستيقظ مبكراً، وينام مبكراً؛ حتى ينال حقّه الطبيعي من الراحة والاسترخاء؛ لتكتمل عنده الإمكانيات الذهنية والنفسية والعضلية؛ لأن الصحة تأتي من النوم الجيد، وأيضاً النوم الهادئ يأتي من الصحة الجيدة؛ فالاستيقاظ المبكر له فوائد كثيرة ومتعددة؛ لذلك فإن نقص النوم من خلال إطالة السهر يضعف النشاط الحيوي اليومي للإنسان، ويؤثر في مستويات الهرمونات في جسده، ويزيد من حالات ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والسكر، وكذلك السمنة وغيرها من الأمراض؛ بسبب كسر ناموس الحياة والفطرة التي خلقنا عليها الحق سبحانه وتعالى؛ إذ إن هناك فارقاً كبيراً بين النوم ليلاً والنوم نهاراً؛ فالنوم ليلاً له فوائد عظيمة، ومزايا كثيرة؛ إذ تنال أعضاء الجسم الراحة أضعاف ما تناله خلال نوم النهار، وقد أكدت الدراسات أن الإنسان لديه أصلاً استعداد طبيعي للنوم مرتين في اليوم: مرةً مدةً قصيرةً بعد الظهر، وأخرى مدةً طويلةً ليلاً، واكتشف العلماء فائدة نوم الظهر؛ إذ يزيد من نشاط الجسم، ويعمل على تحسين حالته المزاجية؛ ليصبح أكثر سعادةً ومرحاً وقدرةً على العطاء بقية ساعات اليوم؛ فنوم القيلولة القصير في منتصف النهار مدة نصف ساعة يلغي التعب، ويعيد

الاستقرار والحيوية والنشاط إلى الذهن والجسم مهما كانت نوعية المهمة التي يقوم بها الإنسان.

ورد تأثير النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً في صحة الإنسان في تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ إذ حضّ الإسلام على القيام لصلاة الفجر وصلاة التهجد، وقراءة قرآن الفجر، والدعاء في السحر، والاستمتاع بهذه النعمة التي أسبغها علينا الحق سبحانه وتعالى؛ لنستفيد منها في الصحة والعبادة؛ إذ يدركها من قام بها، وتلذّذ بمتعتها الإيمانية وضروريتها، بعيداً من سهر الليالي، ونوم النهار.

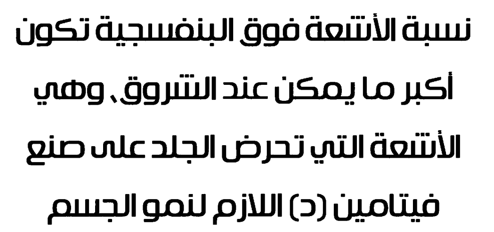
الفوائد الصحية للاستيقاظ المبكر

تتعدّد الفوائد الصحية التي يجنيها الإنسان في يقظة الفجر، منها:

- تكون أعلى نسبة لغاز الأوزون (O^3) في الجو عند الفجر، وتقلّ تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس، وثبت حديثاً أن غاز الأوزون -وهو أحد نظائر الأكسجين الموجود في طبقات الجو العليا لحماية الأرض من بعض الإشعاعات الضارة- ينزل إلى الطبقات الدنيا الملامسة

لا يفوتك النوم مبكراً

أكدت الاكتشافات العلمية والطبية مؤخراً فوائد النوم؛ فقد كشفت دراسة عن تأثير عدم النوم بعد صلاة الفجر في المجاري النفسية؛ فأكدت أن عدم النوم في هذه المدة يؤثر تأثيراً واضحاً في توسعة المجاري التنفسية، وهو ما يفيد أولئك الذين لديهم استعدادات للإصابة بالربو، فيقلّل على الأقلّ من شدة الإصابة، وعدد المرات التي تحدث، كما تكون أعلى نسبة لغاز الأوزون (O^3) في الجو عند الفجر، وتقلّ تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس، ولهذا الغاز تأثير مفيد للجهاز العصبي، ومنشط للذاكرة وللعمل الفكري، ويعدّ هذا الوقت من أفضل الأوقات لحفظ القرآن الكريم وغيره.



نسبة الأشعة فوق البنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند الشروق، وهي الأشعة التي تحرض الجلد على صنع فيتامين (د) اللازم لنمو الجسم

في ساعات الصباح الأولى فرصة لعمل خير يقربنا من الله تعالى ومن الآخرين



لسطح الأرض عند الفجر، ثم يرتفع مع شروق الشمس؛ فهو يشفي كثيراً من الأمراض النفسية والجسدية، وليس له أيّ آثار جانبية. ولهذا الغاز تأثير مفيد للجهاز العصبي، ومنشط للعمل الفكري والعضلي؛ إذ يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية في الصباح الباكر، وقد ثبت أن حقن الأوزون يمكن أن يعطي الجسم نشاطاً هائلاً، ويشعره بسعادة كبيرة؛ لهذا يستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر المسمّى (ريح الصباح) لذةً ونشوةً لا شبيه لهما في أيّ ساعة من ساعات النهار أو الليل.

- تكون أشعة الشمس عند شروقها قريبةً إلى اللون الأحمر، ومعروف تأثير هذا اللون المثير للأعصاب والباعث على اليقظة والحركة. كما أن نسبة الأشعة فوق البنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند الشروق، وهي الأشعة التي تحرّض الجلد على صنع فيتامين (د) اللازم لنمو الجسم، وقد أثبتت إحدى الدراسات أن الاستيقاظ مبكراً يستدعي الهمة والنشاط؛ إذ يقول د. زهير رابح في كتابه (الاستشفاء بالصلاة): يبدأ الكورتيزون، الذي هو هرمون النشاط في جسم الإنسان، في الازدياد بحدة مع دخول وقت صلاة الفجر، ويتلازم معه ارتفاع منسوب ضغط الدم؛ لذا يشعر الإنسان بنشاط كبير بعد صلاة الفجر بين الساعة السادسة والساعة التاسعة صباحاً. ويضيف: إن الجو في هذا الوقت تحديداً يشهد أعلى نسبة لغاز الأوزون، ولهذا الغاز الصباحي العجيب تأثير منشّط للجهاز العصبي وللأعمال الذهنية والعضلية، وإنما هو سبب كافٍ لترك لذة السرير والاستمتاع ببداية يوم مملوء بالحيوية والنشاط.

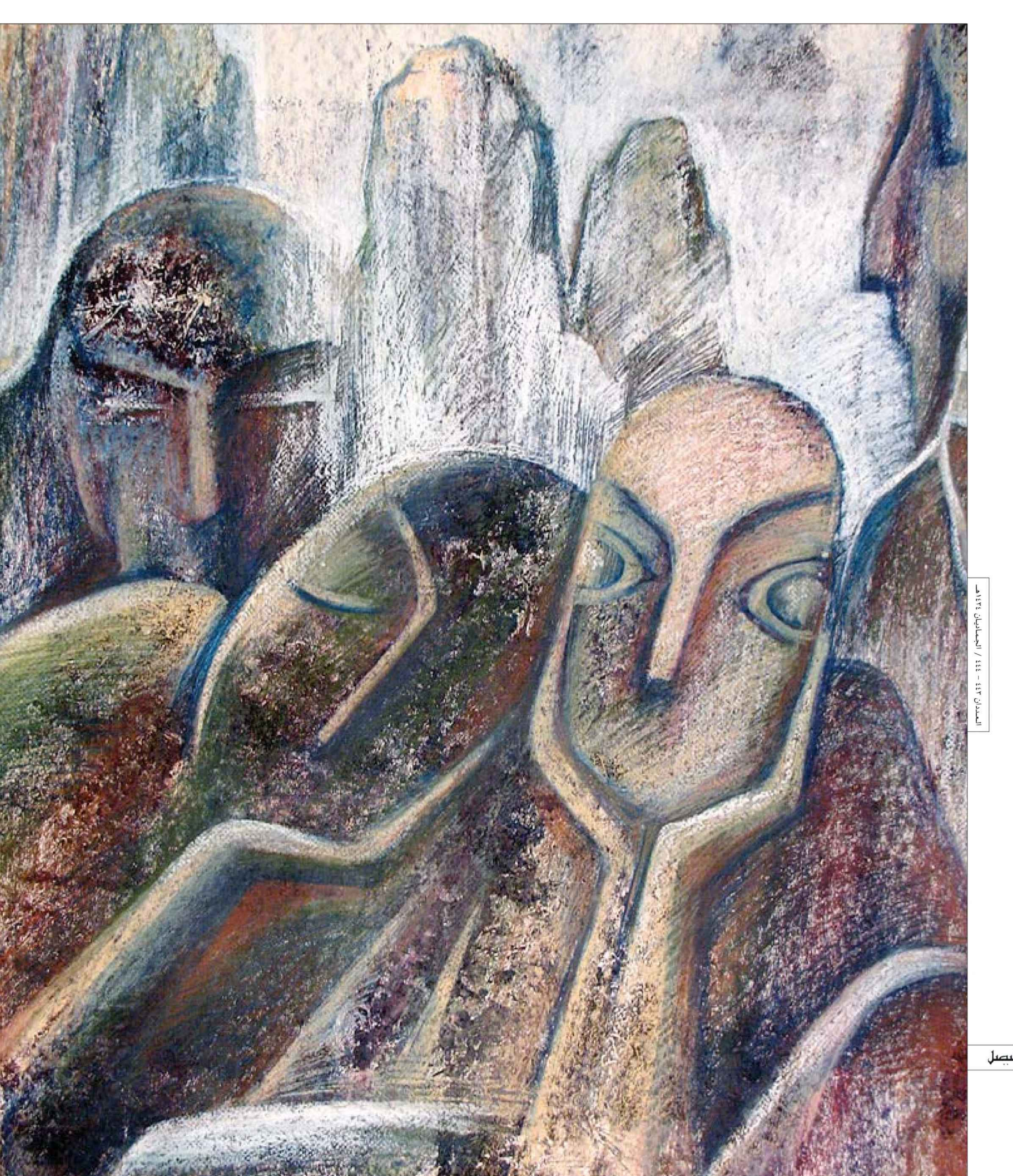
- الاستيقاظ المبكر يقطع النوم الطويل، وقد تبيّن أن الإنسان الذي ينام ساعات طويلة على وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب، خصوصاً مرض العصيدة الشرياني atherosclerosis، الذي يهيّئ لهجمات خناق الصدر؛ لأن النوم ما هو إلا سكون مطلق، فإذا دام طويلاً أدى إلى ترسيب المواد الدهنية على جدران الأوعية الشريانية، ومنها الشرايين الإكليلية القلبية coronary، ولعل الوقاية من عوامل الأمراض الوعائية هي إحدى الفوائد التي يجنيها المؤمنون الذين يستيقظون في أعماق الليل متقرّبين إلى خالقهم بالدعاء والصلاة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: ٦٤)، وقال أيضاً مرغباً في التهجد: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ (المزمل:٦)، وناشئة الليل هي القيام بعد النوم.

- من الثابت علمياً أن أعلى نسبة للكورتيزون في الدم هي وقت الصباح؛ إذ تبلغ (٧- ٢٢) ميكروجرام/ ١٠٠ مل بلازما، وأخفض نسبة له تكون مساءً؛ إذ تصبح أقلّ من (٧) ميكروجرامات/ ١٠٠ مل بلازما. ومن المعروف أن الكورتيزون هو المادة الفعالة التي تزيد فعاليات الجسم، وتنشط استقلاباته بشكل عام، وتزيد نسبة السكر في الدم الذي يزوّد الجسم بالطاقة اللازمة له.



الدراسات والأبحاث تحذّرك من السهر

توصلت دراسة حديثة إلى أن السهر يضعف ذكاء الأطفال واستيعابهم، بينما يساعد النوم المبكر على زيادة مستوى ذكائهم وقدراتهم الذهنية والإدراكية.



وأظهرت الدراسة التي نشرتها صحيفة لو جورنال سانتيه الفرنسية، وأجريت على ٧٩ طفلاً في الصفين الرابع والسادس، أن كل ساعة إضافية من النوم تحسّن أداء الأطفال في اختبارات الانتباه والذاكرة الضرورية لتقويم الأداء المدرسي المثالي. وقام الباحثون بتمديد زمن الأطفال أو تقليله ساعةً واحدةً فقط بعد أن كان بمعدل تسع ساعات، وأخضعوهم لستة اختبارات لقياس قوة الذاكرة ومستوى الانتباه لديهم، ووجد الباحثون أن أداء أطفال الصف الرابع الذين حصلوا على ساعة إضافية من النوم تحسّن في اختبارات الذاكرة والانتباه بشكل ملحوظ، ووصل إلى مستويات زملائهم في الصف الخامس أو السادس، بينما لم يظهر الأطفال الذين تم تقليل زمن نومهم ساعة أيّ تحسّن؛ فنقص النوم ولو سويعات قليلة قد يضعف النشاط الحيوي اليومي للإنسان، ويؤثر في مستويات الهرمونات في جسمه، وهو ما حذّر منه الأطباء في لاهور بالهند؛ فقد بينت الدراسات أن الحرمان الشديد من النوم يؤثر سلبياً في الوظائف البدنية والعقلية، لكن الدراسة الحديثة تؤكد أن الحرمان البسيط قد يسبب أيضاً تلفاً كبيراً.

الفوائد العشر للاستيقاظ المبكر

محبّو ساعات الصباح الأولى في نعمة يُغبطون عليها؛ فالاستيقاظ المبكر له عشر فوائد، وليس صحيحاً أن بعضنا صباحي المزاج والآخر مسائيه؛ فكلّ ما في الأمر أن هناك من ينام مبكراً فيستيقظ مستمتعاً بفوائد ساعات الصباح الأولى، وهناك من يأكل السهر ملامح وجهه، فيحرمه من تلك النعمة، ويجعله كارهاً ساعات الصباح الجميلة.

- السبب الأول لوصول كثير من الموظفين متأخرين هو عدم استيقاظهم مبكراً؛ فمن يستيقظ مبكراً يجد وقتاً كافياً للوصول إلى مقرّ عمله حسب الموعد المطلوب، ومهما قلّل بعضنا من أهمية التزام الحضور المبكر تبقى حقيقة أنه أحد المؤشرات التي تظهر جدية الموظف.
- في كلّ صباح يمارس عدد من كبار السن رياضة المشي، ثم يأخذون أطفالهم إلى مدارسهم؛ فالاستيقاظ المبكر يهدي إلينا وقتاً لممارسة الرياضات الصباحية التي تشحننا بالأكسجين المهم لتنشيط العقل والبدن؛ فالأكسجين يحتاج إليه العقل ليحسن وظائفه، وكذلك حال البدن، وهناك من تمرّ عليه أيام لا يمشي أكثر من كيلومتر واحد؛ لأن نعمة السيارة تأبى إلا أن تضعهم عند بوابة كلّ مكان يذهبون إليه.
- الاستيقاظ في هذه الساعات المبكرة يكسر الروتين؛ إذ يستطيع أهل البكور تناول وجبة فطورهم في مطعم معين كنوع من تغيير الروتين اليومي المملّ، وهناك مطاعم كثيرة تعمل على مدار الساعة (٢٤

نقص النوم خطر رئيس

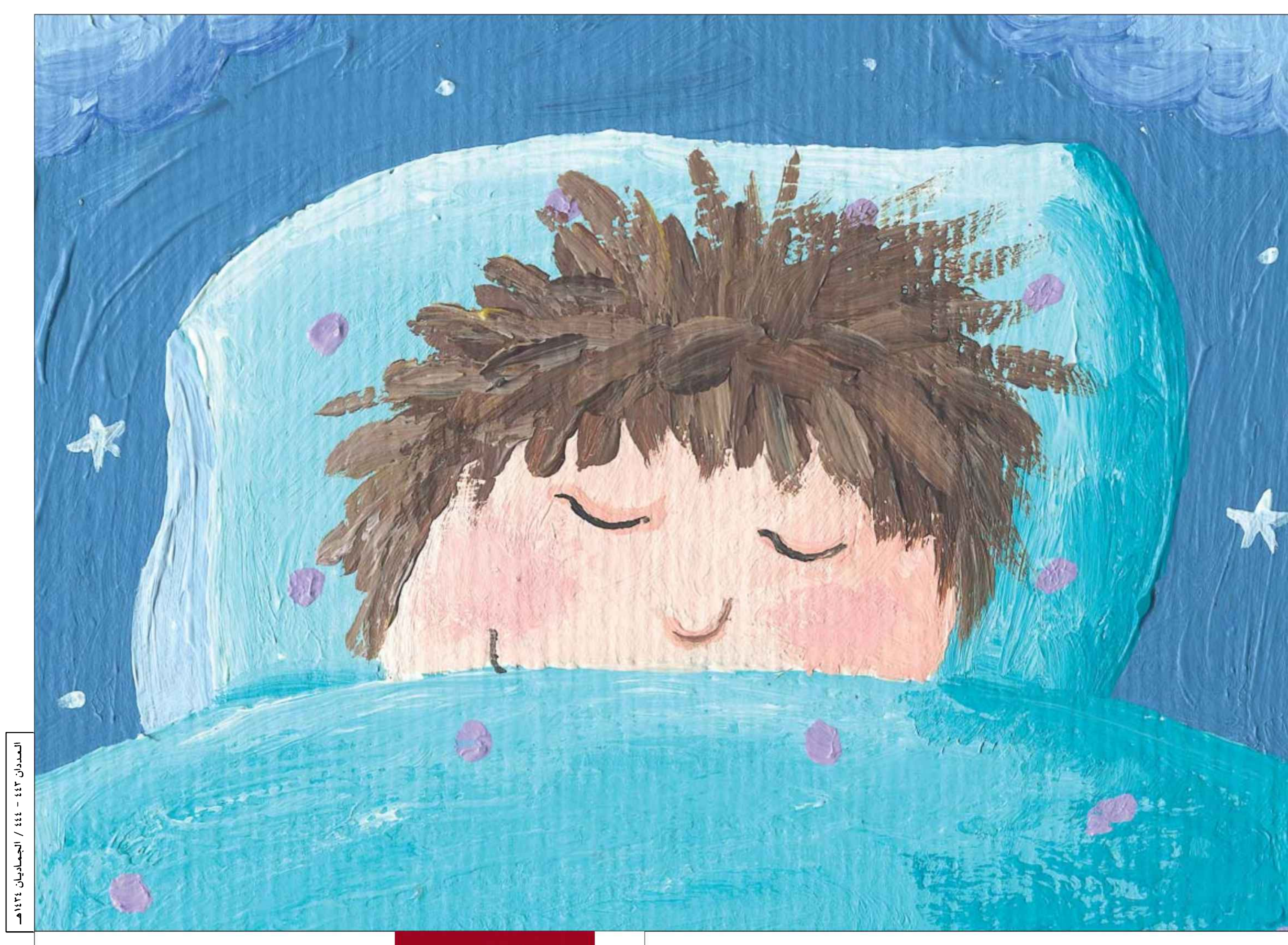
وجد العلماء أن نقص النوم يزيد الاستجابة الالتهابية في الجسم، وهو أمر يرتبط بحالات مرضية متعددة؛ كارتفاع ضغط الدم، وزيادة خطر أمراض القلب والسكري، مؤكدين ضرورة الحصول على قسط وافر من النوم الليلي المريح الذي يراوح بين ستّ ساعات وثماني ساعات كاملة، وكان الأطباء قد حذّروا مسبقاً من أن النوم الكثير أو الحرمان منه يمثّل خطراً رئيساً يهدد صحة الإنسان وحياته. وبذلك تبيّن أن البالغين الذين يحصلون على قسط وافر من النوم الليلي الجيد مدة سبع ساعات أو ثمانٍ يعيشون مدة أطول، ويكونون أقلّ عرضةً للإصابة بأمراض القلب مقارنةً مع الأشخاص الذين ينامون مدة أقلّ أو أطول.

ساعة) تستقبل الراغبين في تغيير روتينهم.

- في هذا السياق، فإن الهدوء الصباحي أفضل وقت للتخطيط لجدول اليوم، والتأكد من أنه يسير وفق خططنا المستقبلية، كما أن ساعات الصباح الأولى أدعى إلى التأمل العميق في أخطاء الأمس، وأجدى بالتعهد بعدم تكرارها، سواء أكانت بحق أنفسنا أم بحقّ الآخرين. في المقابل، نجد أن من يستيقظون متأخرين يهرعون إلى تبديل ملابسهم ويلاحقهم في ذلك شعور بالتقصير، وربما يطاردهم شيء من القلق أو الربكة، خصوصاً إذا كانت أعمالهم أو دراستهم حازمةً في أمر الحضور والانصراف.
- في الصباح الباكر يقلّ الازدحام في المحلات والجمعيات والدوائر الحكومية، وهذه فرصة مناسبة لشراء حاجيات الأسرة، وأمر ينعم به محبّو الصباح، وفي هذه الساعات وقت إضافي لمن يشتكون من ضيق الوقت.
- في ساعات الصباح الأولى فرصة لعمل خير يقرّبنا من الله تعالى ومن الآخرين؛ فبذلك ندخل السرور على والدينا بتناول وجبة الإفطار معهم، خصوصاً من يعيشون في منزل آخر، ويمكننا البحث في الطرقات عن محتاجين نحييهم بابتسامة الصباح، ونتصدق عليهم، فتنشرح صدورنا وصدورهم بالعطاء.
- الصباح الباكر هبة لنحصل على أجر أداء فريضة الحج والعمرة ونحن لم نتجاوز حدود منطقتنا السكنية؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلّى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة، تامة، تامة»، و«من صلّى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله»، كما أن قراءة القرآن خير بداية لغسل أدران القلب؛ ففي آياته شفاء لما في الصدور.
- لماذا ننسى أشياء مهمة؛ كجواز السفر قبل التوجه إلى المطار، أو حقيبة العمل، أو مفتاح السيارة؟ إنه الخروج المتأخر؛ فلو صحا كلّ منا مبكراً فسيتجنب تلك الربكة، وسينطلق إلى عمله مملوءاً بالسكينة والراحة، ويكون لديه الوقت الكافي لتحضير ما يأخذه معه من أغراض عند خروجه من المنزل، وفرصة لمراجعة جدول أعماله.
- الاستيقاظ المبكر سبب أساسي لبركة الرزق؛ إذ دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يبارك الله لنا في الصباح الباكر، فقال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»، وكان إذا أراد إرسال سرية بعثها في أول النهار؛ لتتحقق لها البركة. والرزق المقصود هنا ليس المالي فحسب، وإنما كل ما يُنعّم به الإنسان من خير. إن في إدراك صلاة الفجر في جماعة تحصيناً لأنفسنا من مخاطر كثيرة، فكما في الحديث الشريف: «من صلّى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله»، ومعنى في ذمة الله؛ أي: ضمان أو أمان من الله تعالى.
- من يستثقلون ساعات الصبح الأولى ربما اعتادوا على النوم المتأخر الذي يحرمهم من لذة الاستفادة من هذه الساعات الهادئة؛ فالنوم المبكر مرتبط بدرجة كبيرة بالاستمتاع والإقبال على هذه الساعات الذهبية التي غفل عنها كثير من الناس.

الإنسان الذي ينام ساعات طويلة على وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب، خصوصاً مرض العصيدة الشرياني

السهر يضعف ذكاء الأطفال واستيعابهم، بينما يساعد النوم المبكر على زيادة مستوى ذكائهم وقدراتهم الذهنية والإدراكية

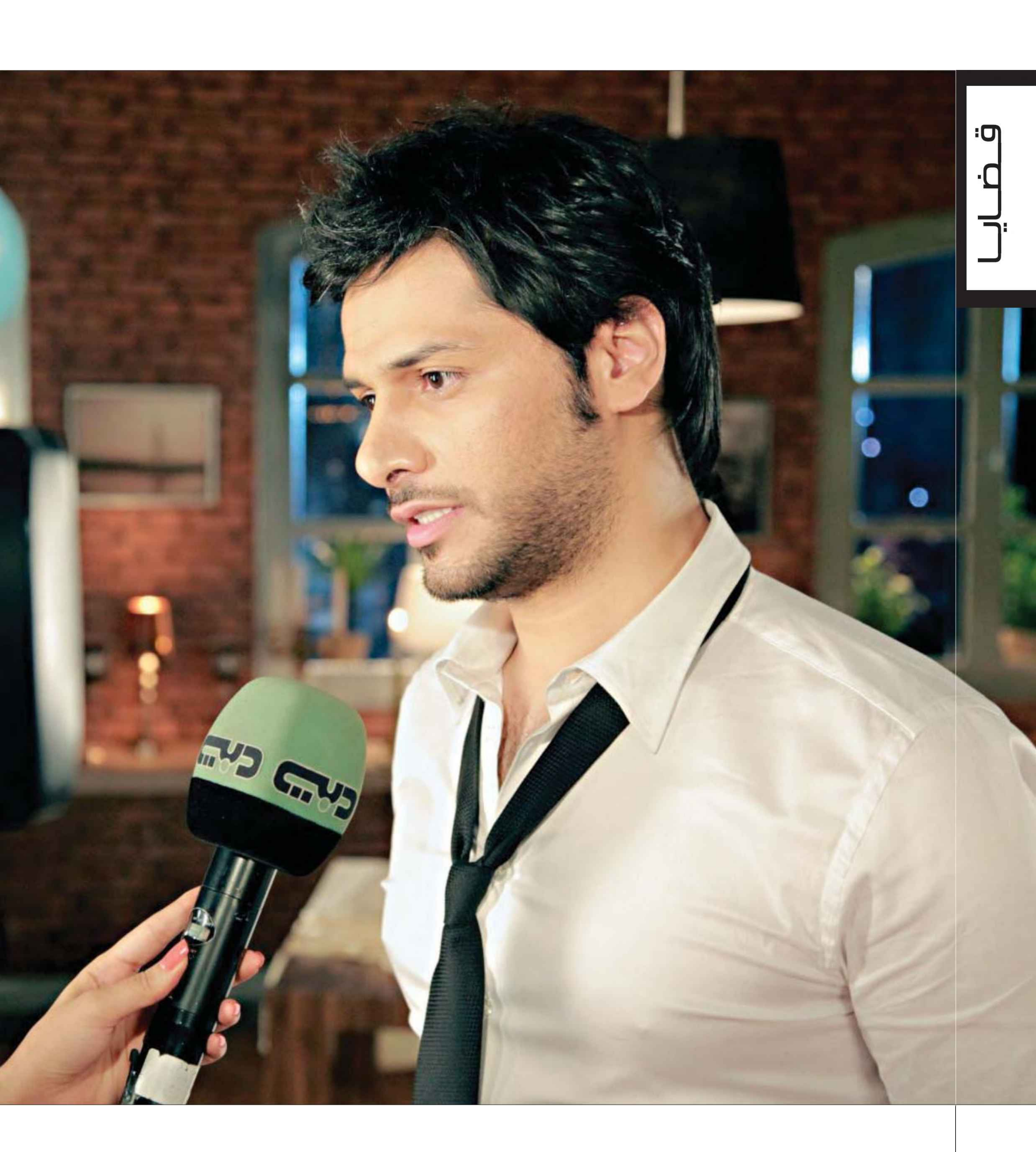


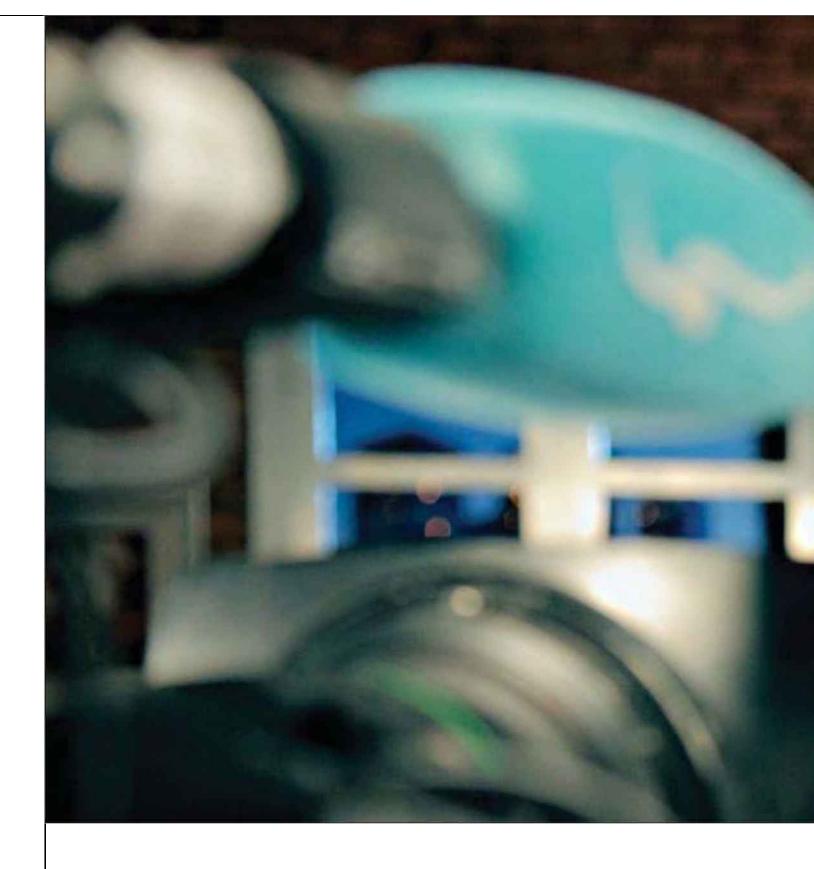
نقص النوم يضعف النشاط الحيوي اليومي للإنسان، ويزيد من حالات ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والسكر، والسمنة

عدم النوم بعد صلاة الفجر يؤثر في توسعة المجاري التنفسية، وهو ما يفيد أولئك الذين لديهم استعدادات للإصابة بالربو

المراجع

- الفوائد الصحية للاستيقاظ المبكر، إبراهيم الراوي، مجلة الحضارة، العددان السادس والعاشر.
- الفوائد العشر للاستيقاظ مبكراً، منتديات الأمل العربي، الشبكة العنكبوتية.
- النوم والغذاء، صحيفة الشرق الأوسط، ١٤ إبريل ٢٠٠٥م.
- الدراسات والأبحاث تحذّرك من السهر، منتديات النبراس ومنتديات معافى، الشبكة العنكبوتية.
- المراهق والنوم، صحيفة الرياض، ٨ رجب ١٤٢٥هـ، العدد ١٣٢١٢.
- كيف ينظّم المراهق وقته؟، مجلة الجزيرة، ٢٥ مايو ٢٠٠٤م.
- أقصر وصفة للشيخوخة، مجلة الجزيرة، ٢٩ يناير عام ٢٠٠٢م.


دبي



أزمة اللغة العربية في الإعلام المعاصر

العياشي إدراوي
تطوان – المغرب

أضحت العلاقة العضويــة بين اللغة العربية بمختلـف مسـتوياتها وعوالـم الإعـلام، وعمـق التحولات التـي طرأت على اللســان العربــي، يغريــان بالبحــث والتأمـل ووضع الســؤال لأجـل الوقـوف علـى معالـم تلك العلاقة ومفعولاتها. إنها علاقة على قدر من الالتبــاس والتعقيد؛ لأن الباحث لا يدري أكانت مسـتويات اللغة متاحة كي توظف لتبسـيط أغـراض الإعلام ومقاصـده أم أن هذا الإعلام صار وسيلةً لترويج خصوصيات وأنمــاط مخصوصـة وتعميمهــا؛ ممــا ينعكس -بشكل أو بآخر- على سبل التواصل لدى المتلقي العربي من جهة، وعلى وعيه وإدراكه وهويته من جهة أخرى.

معلوم أنه خلال العقد الأخير من القرن الماضي، والعقد الأول من القرن الحالي، عرف العالم العربي انفتاحاً إعلامياً غير مسبوق، تمثّل أساساً في التطور المهول الذي لحق قطاع الإعلام، فضلاً عن تنوّع مواقعه ووظائفه وتغيّرها، وصولاً إلى تحوّل مرجعية هذا القطاع من العام إلى الخاصّ. ولا شك أن ذلك وضع مستجدّ يُوشك أن يكون استثنائياً بالنسبة إلى الأعراف والثوابت الراسخة في ثقافة الإعلام العربي عامةً[1].

ولم تُترك التجاذبات السياسية، والاختلافات الأيديولوجية، والتوجهات الفكرية -سواء تلك التي يستقلّ بها كلّ قطر عن آخر بشكل عام، أم تلك التي تشكّل تنوعاً داخل بلد بعينه- بعيداً من الصراع السياسي والتصادم الأيديولوجي، بل توسّله مختلف الفاعلين لتمرير الأطروحات السياسية والدعاوى الفكرية.

ومن الطبيعي أن يكون من مترتّبات هذا الوضع تشرذم المؤسسات الإعلامية الرسمية القائمة، وانحسار تأثيرها

وفاعليتها، ومن ثَمّ التخلي عن مركزيتها أمام اكتساح القنوات الخاصة (التجارية تحديداً)، وانتشار الفضائيات الأجنبية الناطقة باللغة العربية. كلّ ذلك جعل الوسيلة مقدمةً على الرسالة، والربح سابقاً على الجودة (جودة الخطاب)، ومطلب الانتشار والتنافس مفضّلاً على داعي تحرّي الدقة والإتقان في صياغة الخطابات، وصناعة الرسائل كما تقتضي أعراف اللسان الفصيح وسننه.

إن هذا (الفتح الإعلامي) الفضائي -إذاً- لم ينزل برداً وسلاماً على المجال اللغوي العربي؛ فقد ترك تأثيرات انتهكت باسم الانفتاح وزيادة الانتشار حرمة اللسان العربي الفصيح؛ فمجيء العولمة بمطامحها الاستقطابية (التوحيدية) التنميطية، وثقافتها الاستهلاكية الفائقة، دخل عاملاً لغوياً جديداً إلى فضائنا الثقافي الإعلامي؛ إذ غزت اللغات الأجنبية، والإنجليزية على رأسها، عوالم المرئي والمسموع، وتحديداً ألسنة مذيعي الربط، ومقدمي البرامج، ومروّجي الإعلانات، وغيرهم.

تمدّدت المفردات والتعبيرات الإنجليزية والفرنسية في رحاب المذيعين وأساليبهم، وتلوّنت طرائق نطقهم وتنغيمهم ونبرهم بأساليب ومقترضات واستعارات تعود إلى هذه اللغات، وباتت الأدوات اللغوية المستخدمة اليوم تشكّل مزيجاً هجيناً يغرف من كلّ منهل من دون أن يحمل بالضرورة ملامح شخصية البيئة الثقافية والاجتماعية التي يُفترض به أن يتوجه إليها أو يكون ثابتاً من ثوابت هويتها التعبيرية[٢].

إن حابل الإعلام أصبح مختلطاً إلى أبعد حد بنابل اللغة، ولم تعُدْ تبعاً لذلك حدود استخدام كلّ منهما وضوابطه وتوظيفه في خدمة الآخر واضحة المعالم. وعلى هذا الأساس، فالتداخل البيّن بين مستويات اللسان العربي في مختلف وسائل الإعلام، إضافةً إلى الغموض الحاصل في الدور المرتقب لهذه الوسائط، يحتّمان وضع أكثر من استفهام على هذا المستوى، سواء في ذلك



ما يمكن أن يصيب (هوية اللغة العربية الفصيحة) من تدجين وتدمير من خلال خلخلة أركانها المنبنية عليها (صوتاً، وصرفاً، ونحواً، وتركيباً، ودلالةً)، وتخريب نسقها المعياري، أو ما يمكن أن يلحق (هوية) الناطقين بها من ارتجاج ومسخ، بوصف (اللغة هي صلب الهوية)، مثلما أن تحديد اللغة يقع في قلب تحديد (الهوية)، وكلاهما يتبوأان موقعاً مركزياً في فهم التحولات الآخذة في البروز كما يبدو من المظاهر الآتية:

- التداخل بين اللغة الفصيحة واللغة العامية في الخطاب الإعلامي:

وهو تداخل ليس بريئاً أو عفوياً، وإنما هو مقصود، الهدف منه عزل اللغة العربية الفصيحة (بما تحمله من قيم ورموز وعمق تاريخي وبعد أيديولوجي)، وإحلال العاميات محلها؛ أي: الابتعاد ما أمكن -كما يتّضح في الخطاب الإعلامي- من اللغة الأم، وترسيخ (النسق الدارج). ولأن «الإعلام بمختلف وسائله الخطية والسمعية والمرئية هو أكثر المنظومات التصاقاً بالجمهور والواقع فإن كلّ التركيز يقع على قنواته ووسائطه للنيل من اللسان الفصيح؛ لذلك فنصيب الفصحى ما انفكّ يتقلّص، ونزعة الاستسهال بحكم قانون المجهود الأدنى ما



هيمنة ثقافة الصورة في مقابل تراجع ثقافة الكلمة شجعت على انتشار الثقافة الجماهيرية، وانحسار ثقافة النخبة

الفتح الإعلامي الفضائي لم ينزل برداً وسلاماً على المجال اللغوي العربي

فتئت تزرع الوهم بأن العربية لا تتلاءم مع برامج الحياة اليومية»[٣]، وكأن العربية لغة مفارقة للواقع الحيّ المعيش؛ لذا يحاول هذا التوظيف الإعلامي أن يبثّ الإيهام والخداع بكون لغة الواقع (اللغة العامية) هي التي يجب أن تغدو اللغة الرسمية، وهذا معناه جعلها لغةً تعليميةً أولاً، ثم لغةً إبداعيةً ينتج بها الفكر ثانياً، ومن هنا تجد أطروحات تحطيم اللغة الفصيحة مداخلها المبتغاة!!.

ولا يبعد أن يكون المقصد الأساسي من وراء كلّ هذا هو أن تلقى لغة الضاد المصير نفسه الذي لقيته اللغة اللاتينية بأن تنحل وتتفتت إلى لهجات تتطور إلى لغات قائمة الذات.

شجّعت هيمنة ثقافة الصورة (الثقافة البصرية) في مقابل تراجع ثقافة الكلمة (ثقافة المقروء)، وطغيان مبدأ الإغواء المشهدي في شكل من أشكال تفشي (لعبة الإغراء The game of seduction)، على انتشار الثقافة الجماهيرية بمختلف مظاهرها ووجوهها، وانحسار ثقافة النخبة بتجلياتها

وصورها شتى؛ لذا من البديهي في مثل هذا الحال أن يتوسل الإعلام بالعاميات بدءاً بلغة التخاطب التي يستعملها المنشطون والمنشطات للبرامج التلفازية والإذاعية.

ولعلّ ما يزيد من استغراب المتابع للوضع الإعلامي أن البرامج الدينية قد انجرّت -في شكل من أشكال تحوّل الوعظ والإرشاد الدينيين من المنبر إلى الشاشة، أو من المسجد إلى الأستوديو- إلى المآل عينه، بل إن جمهور العلماء والدعاة والوعّاظ أضحوا يميلون إلى التداول اللهجي عبر البرامج الإعلامية، حتى الذين يتناولون منهم قضايا على قدر من

تميز اللغة واستقلاليتها

محاصرة أزمة اللغة العربية في الإعلام المعاصر تقتضي تقويم ما اعوجّ في لغتنا وهويتنا على حدٍّ سواء حتى تبتعدا من منطقة الغربة ووضع الاغتراب، وتنتقلا من الضعف والهامشية إلى القوة والمركزية، أو على الأقلّ رفعهما إلى منزلة التميّز (الطبيعي) والاستقلالية؛ مما يضمن قدراً من الأمن اللغوي العربي، ونصيباً من المتانة والتماسك للهوية العربية في زمان صار فيه تهديد الأمن اللساني وفقدان التوازن (الهوياتي) يعني الانصهار في الثقافة الغربية المسيطرة، والذوبان في الفكر (المُؤَمْرك) المهيمن، وتبعاً لذلك انتفاء الوجود الاعتباري واستحالته عدماً.



التعقيد والدقة في علم القراءات أو علم الأصول أو غير ذلك، بل للأسف حتى في علم اللغة[٤].

- اللسـان الفصيح واللسـان الدارج وسؤال المرجعية في الفضاء الإعلامي:

باتت وسائل الاتصال والإعلام العربية والأجنبية على حدٍّ سواء؛ بفعل قوة انتشارها، وازدياد تأثيرها في المتلقي العربي، تمثّل شبه مرجعية ثقافية ولغوية لا تقلّ أهميةً عما سواها من المرجعيات القائمة المورثة. ولعل المقلق -فيما نحن

جمهور العلماء والدعاة والوعاظ أضحوا يميلون إلى التداول اللهجي عبر البرامج الإعلامية، حتى الذين يتناولون منهم قضايا معقدة ودقيقة

التفريط في اللغة في المجال التداولي الإعلامي هو تفريط في المرجعية الحاضنة لها



فيه- الشكل الموصول بفعالية هذه (المرجعية الجديدة)، وقدرتها على القيام بتوجيه جمهورها وتطويره لغوياً؛ لأن أهدافها التسويقية، وخلفياتها الاستهلاكية، ومنطقها الربحي، وفلسفتها التجارية، غير المنفكة عن تجديداتها وإبداعاتها اللهجية الغربية، تكاد تطغى على همومها اللغوية؛ فمبدأ الغاية التوصيلية (النفعية) مُقدَّم على العناية بالوسيلة اللغوية وما تقتضيه من ضبط وإتقان، إن لم نقل: إن غاية حفظ شدّ المتلقي إلى الوسيلة الإعلامية أكبر وقت ممكن تسوّغ انتهاك حرمة اللغة الفصيحة واللسان الرصين.

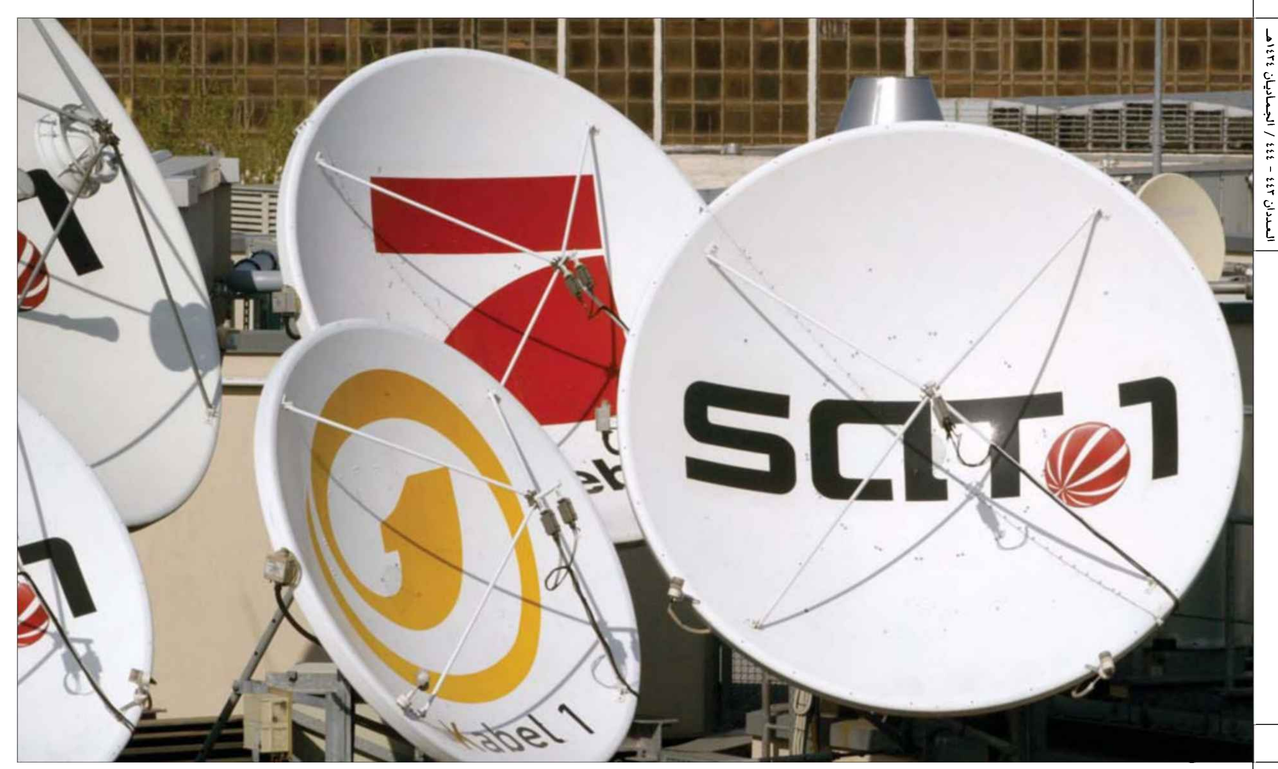
أما ما يرتبط بالتأثير والتأثر المتبادلين بين مستويي الفصحى والعامية في اللسان العربي المعاصر، فيوجب التذكير بأن العرف اللساني يؤكد أن المستوى الفصيح ينحو منحى التكيّف مع المستوى التعبيري اليومي؛ بمعنى أن التلاقي والتفاعل يحدثان انطلاقاً من المستوى الفصيح، وصولاً إلى المستوى العامي، بينما العكس هو الصحيح في حال اللسان العربي الذي تتطور عاميته تدريجاً -بفعل الاحتكاك والاستعمال الإعلامي تحديداً- (نحو الشكل المفصّح)[٥].

وإذا تبيّن هذا تبيّن معه كذلك أن (الانحراف) في المجال الإعلامي نحو التوظيف اللهجي (استعمال العاميات) على حساب اللسان الفصيح إنما هو انحراف على مستوى المرجعية

اللغوية التي هي مرتكز الهوية العربية، وأساس الانتماء الحضاري للأمة الناطقة بلغة الضاد. وليس من نافلة القول التذكير في هذا السياق بأن اللغة العربية تنفرد عن غيرها من اللغات العالمية بأنها كانت -ولا تزال- تشكّل المحور الذي تلتصق به هوية الفرد العربي وهوية الجماعة على حدٍّ سواء، وبين هذه وتلك هوية الدين. كما أنه غنيٌّ عن البيان أن هوية الدين ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي الشريف.

وبناءً على ذلك، فإن التفريط في هذه اللغة في المجال التداولي الإعلامي -من حيث إن الإعلام هو الصانع الأساسي للتصورات والتمثّلات، والمشكل الأبرز للوعي والإدراك- إنما هو تفريط في المرجعية الحاضنة لها، التي قوامها الامتداد في العمق التاريخي، والامتلاء الحضاري، والانسجام بين العناصر المكونة لها، وما يستتبع ذلك من أصالة وثبات، على نقيض ما تحيل عليه (اللغة الهجينة) التي أضحت -كما تبيّن- العلامة المميزة للخطاب الإعلامي المعاصر، وهي (لغة) لا هوية حقيقية لها، ولا مرجعية محددة تحضنها، أو أنها -في أحسن الأحوال- ذات (هوية هجينة مدجنة): عامية، وعاميات، ولغة فصيحة، وإنجليزية، وفرنسية، وغيرها.

وأيّ لسان بهذه المواصفات لا يمكن أن يسهم في خلق الإبداع، أو بناء فكر، أو صناعة ثقافة (بالمعنى الإيجابي العميق)، بل يمكن القول: إن وضعاً لغوياً كهذا من شأنه أن يقوّض الإبداع الثقافي والإنتاج الفكري؛ لأن اللسان الغريب عن التربة الحضارية للأمة لا يمكن أن يولد إلا (ثقافة غريبة)، و(فكراً مغترباً)، بل وإنساناً مغترباً عن محيطه المحلي والكوني؛ لكونه يُفقد صاحبه حقيقة وجوده، وصميم هويّته؛ أي: اللغة الأم؛ لذلك «فالنظرة إلى اللغة ينبغي ألا تقصر على أنها مجرد سوق استهلاكية جديدة، أو سوى فتح تلفزيوني إعلامي يتجلب بالعباءة العربية، وإنما من





جهة كونه يرطن بلغة هجينة مغربة»[٦]، لها تداعيات مخيفة على الإنسان والفكر والثقافة والحضارة.

من هنا يمكن التنبيه إلى أنه بدل أن تمارس وسائل الإعلام في المجتمع العربي دورها في التحصين الثقافي، والوعي الحضاري، وتقدم النماذج التي تبني الشخصية، وتحمل الرسالة، وتثير الاقتداء، وتحسن التعامل مع الإعلام الغازي وتواجهه، وتشعر الأمة بالاستفزاز والتحدي الذي يجمع طاقاتها، ويبصرها بطريقها، ويساهم في صمودها، بدل كلّ ذلك تحوّلت جلّها إلى وسائل هدم، تسهم في تكسير أسلحة الأمة، وعلى رأسها اللغة، ومن بعدها القيم والأخلاق، وإلغاء حدودها الفكرية والثقافية؛ لتمكن لمرور (الآخر)، واختراق الهوية العربية الإسلامية، وقد تتجاوز أكثر من ذلك؛ إذ تغدو أداةً لـ(الآخر)، فتبرز (العمالة الإعلامية) بوصفها تجلياً من تجليات العمالة الثقافية والسياسية في مراحل تطور الدولة التاريخي[٧].

وإذا تبيّن هذا تبيّن معه كذلك أن الأزمة التي تعيشها اللغة العربية الفصيحة اليوم إنما هي أزمة متعددة المداخل، وفي مستويات كثيرة لم تعُدْ محتملةً: أزمة وضع (في التعليم والإدارة والاقتصاد)، أو مأسسة لغوية غير مناسبة ولا مجدية، وحقوق لغوية مجهضة، وقانون يتنافى والواقع، وأزمة متن (معاجم وقواعد ونصوص)، ووظيفيات (في الحياة العامة والإدارة)،

التوظيف الإعلامي يحاول بثّ الإيهام بأن لغة الواقع (العامية) يجب أن تغدو اللغة الرسمية، مما يعني جعلها لغةً تعليميةً أولاً، ثم لغةً إبداعيةً

لا فصل ممكناً بين أزمة اللغة العربية القائمة فعلاً وأزمة الهوية العربية الموجودة حقيقةً

واقتصاد وسياسة واجتماع وإعلام، وغيرها[8]. وهذا الأمر يعكس مدى هشاشة الوضع اللغوي العربي، وحدّة الأخطار التي هي محدقة به؛ لما يعيشه من حصار بين اللغات الأجنبية الكاسحة من جهة والعاميات المتنامية من جهة أخرى، فضلاً عن التحامل المشهود على لغة الضاد بشكل مباشر أو غير مباشر محلياً وكونياً؛ لذا فالمعالجة الملحة والعقلانية صارت أمراً لا يتحمّل مزيد إهمال ولا تأجيل؛ لأن إصلاح الشأن اللغوي المتردّي وتقويم اعوجاجاته هو في الآن نفسه (ترميم) وإصلاح للهوية العربية؛ لكون الأزمة واحدة، والمآل واحد على سبيل اللزوم والتعدي. ومعنى هذا أنه لا فصل ممكناً بين أزمة اللغة العربية القائمة فعلاً وأزمة الهوية العربية الموجودة حقيقةً؛ فانحدار اللغة انحدار للهوية الموصولة بها، كما أن تأكّل هوية جماعة بشرية ينعكس على صفحات اللغة التي يتحدثونها. وإن كان من مزايا للإعلام المعاصر فإنها تتمثّل في كونه -من خلال توظيفاته اللغوية، وترسيخه نمطاً لغوياً متهرئاً- جعلنا نشاهد على شاشات القنوات الفضائية، وصفحات المواقع الإلكترونية حقيقة هويتنا المأزومة، ونقرأ على صفحات الصحف والمجلات معالم ضعفنا البارزة، ونعرف مدى تفريطنا في هويتنا ولغتنا معاً.

المد اللهجي

لقد تضاعف (المدّ اللهجي) بحكم السعي إلى إشراك الجمهور في البرامج والنقاشات عبر وسائط الاتصال الحديثة، واشتهرت في الآن نفسه المسلسلات التي ترسّخ اللهجات العامية حتى لو كانت مضامينها ومقاصدها نخبويةً عاليةً. وقد كان القطاع الخاص سبّاقاً إلى ترسيخ العاميات، بل حتى فضائياته التي انطلقت بتوازن لغوي مقبول بين العامية والعربية سرعان ما تخلّت عن خيارها اللغوي، وركبت موجة التداول اللهجي، وانساق القطاع العمومي شيئاً فشيئاً إلى الظاهرة نفسها، وأصبح للتداول بالعاميات النصيب الأوفر.



المراجع

(١) مجلة حوار العرب، السنة الأولى، العدد الخامس، إبريل ٢٠٠٥م، ص٦١.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) مجلة الدوحة، السنة الثانية، العدد الثالث عشر، نوفمبر ٢٠٠٨م، ص٥١.

(٤) المرجع السابق، ص٥١.

(٥) مجلة حوار العرب، السنة الأولى، العدد الخامس، إبريل ٢٠٠٥م، ص٦٣.

(٦) المرجع السابق، ص٦١.

(٧) محيي الدين عبدالحليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، سلسلة (كتاب الأمة)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٩٩٧م، ص٢١، ٢٢.

(٨) عبدالقادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٠م، ص٦.

محمد بن عبدالله الطلحي
الرياض – السعودية

الخريف المنتظر

قصيدة

إلى حبيبة العمر
لا تعجبي
فلي في البوح أغنية
ملّها الشوق وأضناها السفرْ
أنشودة من خيمة الآهات
منسوجة من لوعة الدمعات
من غيهب الملح وأنفاس السهرْ
هنا كنت طفلاً يسكن الأحلام
يرسم الأفراح شوقاً وقمرْ
كانت الأيام آمالاً محلّقةً
كانت اللحظات أنغاماً ووترْ
كان الطموح الغضّ ينثر عطره
كانت الأحيان فيضاً ومطرْ
فجأةً ...
ضمّني حزن الوجود
واعترتني سرابيل الضجرْ
ذابت بقلبي الأغاريد
ذبل العمر وأوراق الزهرْ
تاهت النجمات يا ربّانها
لا تعتبي
جاء الخريف المنتظرْ
جاء الخريف المنتظرْ





تقع بلدة فيد في منطقة حائل في الجنوب الشرقي من مدينة حائل، وتبعد منها نحو ٩٠ كيلومتراً غرب الطريق السريع حائل-

بلدة فيد ومحلها من التاريخ

هزاع بن عيد الشمري
الرياض – السعودية

معنى الاسم

فَيْد بفتح أوله وسكون ثانيه[١]. قال الزجاجي: سُمِّيت بفيد ابن حام؛ أول من سكنها[٢]. وقال السرقسطي: فاد الرجل فيداً أو فوداً: مات، وفادتْ لك فائدة فيداً: أتَتْك، فاد له مالٌ فيداً: كثر، وفاد الرجل فيداً: تبختر[٣]. وقال ابن منظور: الفيد: الموت، والفيد: الزعفران، والفيد: ورق الزعفران، والفيد: الشعر الذي على جحفلة الفرس. قال عبيدالله بن محمد اليزيدي: قلت للمؤرج: لمَ اكتنيت بأبي فيد؟ فقال: الفيد منزل بطريق مكة. وفيد: ماء، وقيل: موضع بالبادية[٤]. وقال الفيروزآبادي: الفيد: قلعة بطريق مكة تسمى بفيد بن فلان، وفيد القُريّات: موضع[٥]. وقيل في نشرة أصدرتها الهيئة العامة للسياحة والآثار: يرى البعض أن سبب تسمية فيد بفيد نسبةً إلى فيد بن حام بن نوح، بينما يرى آخرون، وهو الأقرب، أنها سُمِّيت بفيد لأن من حولها يستفيد منها[٦]. وقال مرتضى الزبيدي: فاد المال نفسه لفلان يفيد فيداً: إذا ثبت له. فيد: ماء، وقيل: موضع بالبادية. وقيل: قلعة. وفي المراصد: بليدة بطريق مكة في نصفها من الكوفة. وقال ابن هشام اللخمي في شرح الفصيح: فيد قرية بين مكة والكوفة. وقال شيخنا: والغالب على فيد التأنيث. قال ابن الأنباري: قال التدمري: والاختيار فيها عند سيبويه عدم الانصراف، وصرفها جائز. وقال ابن دُرُستويه في شرح الفصيح: يقول ثعلب: لا يدخل في فيد حرف التعريف، ولا يقال: فائد[٧].

قلتُ: وربما كان الاسم مرتجلاً، أو لغةً طائيةً أو أسديةً، ونحن نجد فيداً في لغة قبيلة شمر اليوم -وهي قبيلة من طيء ورثت لغتها التي لم تدوّن في المعاجم ولغة بني أسد- تعني القصة؛ مثل قول عبيد بن رشيد: (فيدت عماهم تايهين الدلايل)؛ أي: قصة عماهم. والفيد والفيدت: القبل والدُّبر، وفيدني: حقي، وحلالي، وفيدتي: مالي وأيّ شيء يدلّ على الاستحواذ والملكية؛ أي: أنا أملكه. وربما كان الخبر الذي أورده الزجاجي بأنها سُمِّيت فيداً بفيد بن حام بن نوح هو الصحيح والأسلم. لمَ لا؟! فالاسم غريب، وليس بين أيدينا ما يدلّ على أصله وفصلَه، ولا يزال تقعيد هذا الاسم (فيد) محالاً.

القصيم، ويربطها بهذا الطريق وصلة مسفلتة بطول أربعة كيلومترات، وتقع في منخفض ليس بالعميق يشبه الوادي، على عدوتيه المدينة الحديثة من جهة الجنوب، وقصر خراش والبلد التاريخي من جهة الشمال، وأرضها مرتفعات، خصوصاً من الجنوب والغرب، وسهل منبسط من الشمال والشرق تحفّه حرّة سوداء تضرب بأطنابها غرب البلد والبلد التاريخي برمته.

أهمية فيد

جاءت أهمية بلدة فيد من وقوعها في منتصف الطريق بين مكة والكوفة، وعلى طريق الحاج من الشرق الإسلامي والعراق وأذربيجان، فضلاً عن وقوعها في قلب منطقة رعوية كثيرة الخيرات منبسطة أحلى ما تكون لتدريب الخيول وطرادها بأكرم نجد قريب من سلمى ثم أجا[٨]. وكانت أرض فلاة رحبة في الأرض بين قبيلتي أسد وطيء في الجاهلية[٩]، وازدادت أهميتها عندما كانت أرضها مجمعاً للجيوش الإسلامية في حروب فتح العراق في عهدي أميري المؤمنين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ثم صارت من أهم مراكز الحج العراقي؛ إذ عُني الخلفاء العباسيون بها، وجعلوا منها مقرات عسكرية ومدنية، وبنوا فيها البرك ومصانع المياه.

كانت من مناهل المياه في الجاهلية، وبقربها من الأماكن التاريخية الجاهلية أيضاً بلدة (رَك)، وهي للمناصير من الأسلم اليوم، وكانت عاصمة طيء، وتقع داخل الجبال -جبال سلمى- من الناحية الشمالية الشرقية، وكانت حصينةً. ثم بقربها بلدة (النعي)، وهي في داخل الجبال أيضاً، وكانت حصينةً، وبها -فيما يقال- قبر عنترة بن شداد الفارس الجاهلي المشهور، ولا يزال هذا القبر على تلة، وكان مبنياً عليه مشهد إلى أن جاء الملك عبدالعزيز آل سعود فسُوِّي بالأرض، وبقي بارزاً، ويقع في المنازل الجديدة لبلدة النعي. وبقرب فيد أيضاً قرية (طابة) العجيبة التي تقع في جوف من الأرض، وخرج منها أهلها، وبنوا قرية طابة الجديدة على مشرف من الأرض. وبقربها أيضاً منهل (أبضة) المشهور، وكان لبني ملقط الطائيين، وهي قرية للشياشا من الأسلم اليوم، وتقع في جنوب فيد على طريق الحاج العراقي. وبقرب فيد أيضاً (الفَلْس)، وكان صنماً تتعبّد به طيء، وسدنته بنو بولان من طيء[١٠]، حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في مئتي فارس من الأنصار، فهدم الصنم، وأسر أسرى من طيء، وأتى بهم المدينة.

وكان بها -أي: بفيد- صنم آخر يُعبد، وهو من الحجر الأسود، قال عليه الصلاة والسلام حينما وفد عليه زيد الخيل الطائي: «أنا خير لكم من (مَناع)، ومن الحجر الأسود الذي تعبدونه من دون الله»، ويعني بمناع: هضبة في جبال طيء[١١]. وحولها حمى فيد، وهو من الأحمية المهمة المعروفة عند العرب[١٢]، وقد اتخذه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان رضي الله عنهما حمى لإبل الصدقة، وربما لتهجين الهجن من أجل الحرب؛ ففي السنة التاسعة من الهجرة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من طيء من ناحية فيد، عليهم زيد الخيل بن مهلهل الطائي -أحد سادات طيء- فلما انتهوا إليه

جانب من قصر خراش





منظر عام لقصر خراش

كلّموه، وعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الإسلام، فأسلموا وحسن إسلامهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ذُكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يُقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل؛ فإنه لم يُبلغ فيه كلّ ما فيه»[١٣]. وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال له: «يا زيد، ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا كان دون الصفة ليسك»، يريد: (غيرك)[١٤]. وأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناءً عالياً[١٥]، وسماه (زيد الخير)، وقطع له فيداً وأرضين معه، وكتب له بذلك، فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ينجُ زيد من حمى المدينة ...»، سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحُمى وغير أم مَلْدَم، فلما انتهى إلى ماء يُقال له: فردة، أصابته الحُمَّى، فمات بها، فلما أحسّ زيد بالموت قال:

أمُـرتحـلٌ قـومـي المـشـارق غُـدوةً
وأُتــرِكُ في بـيـتٍ بـفـردةَ مُـنـجـدِ

ربما كان الخبر الذي أورده الزجاجي بأن فيداً سميت بفيد بن حام بن نوح هو الصحيح والأسلم

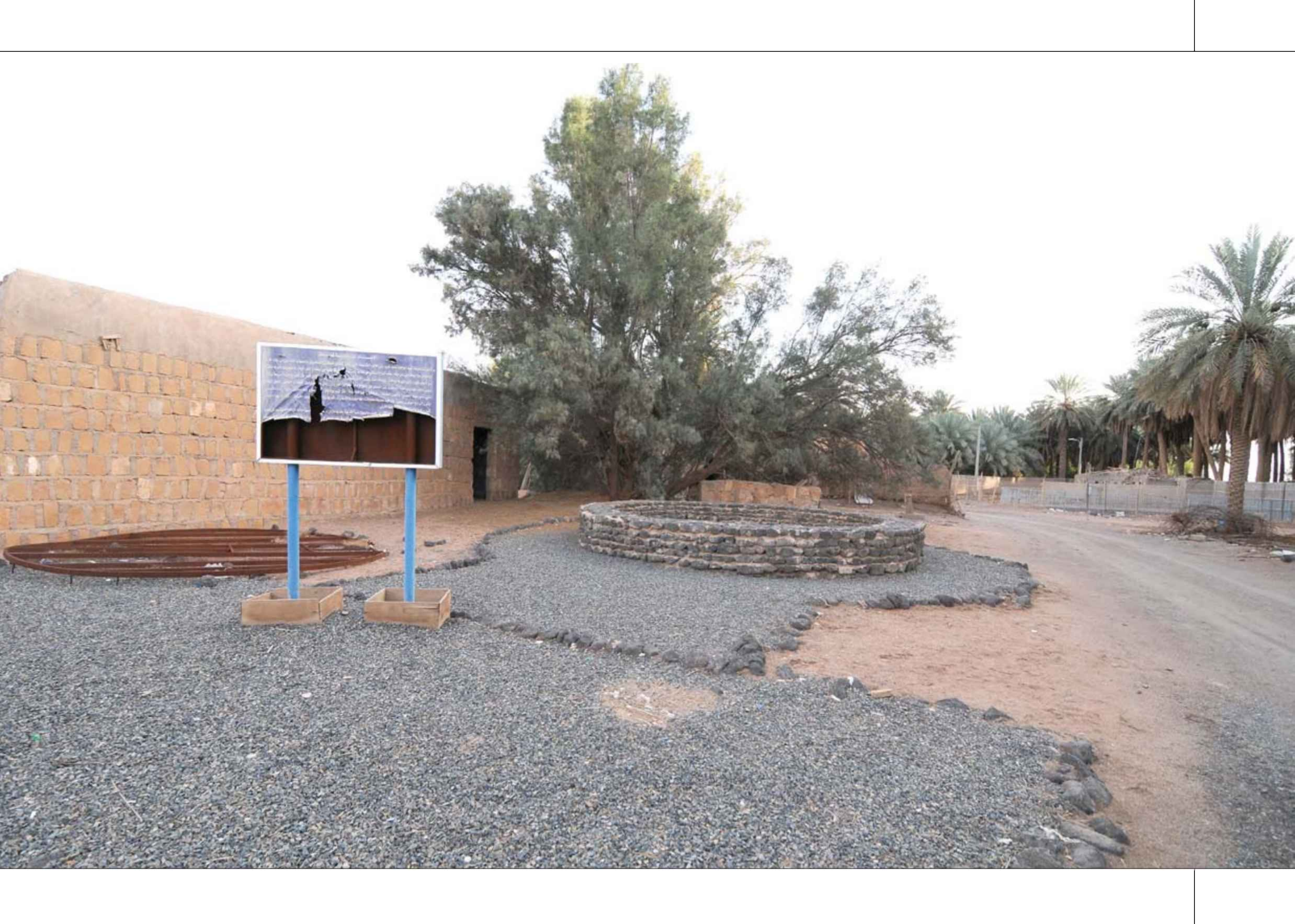
جاءت أهمية فيد من وقوعها في منتصف الطريق بين مكة والكوفة، وعلى طريق الحاج من الشرق الإسلامي والعراق وأذربيجان

ألا رُبَّ يـــومٍ لــو مَـرضـــتُ لـعـادني
عــوائــدٌ مــن لم يُـــبْرَ مـنـهـنَّ يـجـهـدِ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معها من كتبه التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار[١٦]، وكانت له صحبة ونيّة في الإسلام[١٧]، وأقام على قبره قبيصة ابن الأسود بن عامر المناحة سنةً[١٨].

وكان زيد الخيل فارساً مشهوراً من فرسان العرب الجاهليين، وله وقائع معلومة معروفة على أحياء العرب، وطراد مع فرسانها، وأسر الفارس المشهور عامر بن الطفيل العامري، وجزّ ناصيته، وخلّى سبيله. وكان جسيماً وسيماً، يقبِّل المرأة على الهودج، ويخطّ رجله على الأرض إذا ركب الفرس العظيم الطويل[١٩]. وذكره ابن حبيب أنه كان من المتعممين بمكة -يعني: قبل الإسلام- مخافة النساء على أنفسهن من جمالهم[٢٠]، وسُمِّي زيد الخيل لطول طِراده بها، وقيادته لها[٢١].

وبنو زيد الخيل: مكنف، وعروة، وحنظلة، وحريث[٢٢]، فأما مكنف فقد كان أكبر ولد أبيه، وبه كان يُكنَّى، وأسلم، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد قتال الردة مع خالد بن الوليد[٢٣] في يوم بزاخة، وردة مالك بن نويرة بالقصيم، ويوم



مسيلمة الكذاب باليمامة، ويظهر أنه كان مع أبيه في وفادته على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك أخوه حريث بن زيد الخيل؛ فقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد حروب الردة مع خالد أيضاً[٢٤].

وأما عروة وحنظلة ابنا زيد الخيل، فقد كانا من قوّاد فتوح العراق وفارس، بعث عمار بن ياسر عروة بأمر عمر بن الخطاب إلى قتال الري والديلم، فكانت له فيهم فتوح عظيمة، ثم إنه وفد على عمر، واستخلف مكانه أخاه حنظلة بن زيد الخيل[٢٥].

ومن ولد أخي زيد الخيل بن مهلهل حصن بن مهلهل: القشعم بن ثعلبة بن عبدالله بن حصن بن مهلهل، قاتل داهر ملك الهند في فتح السند أيام الحجاج بن يوسف على العراق[٢٦]، وأنشد القشعم في ذلك قوله[٢٧]:

الخيـل تشـهـد يـوم داهـر والقـنـا
ومحـمـد بـن الـقـاسـم بـن محـمـدِ
أني فَـرجـتُ الجـمـع غـيـر مـغـرد
حـتـى عـلـوتُ عـظـيـمـهـم بمـهـنـدِ
فـتركـتـه تحـت الـعـجـاج مجـدلاً
مـتـعـفـر الخـديـن غـيـر مـوسـدِ

ومن فيد في الجاهلية من السادات والأعيان: وزر بن جابر بن سَدُوس بن أصمع بن أبي عبيدة النبهاني الطائي، كان سيداً منيعاً، وفارساً معروفاً، وهو الذي قتل عنترة بن شداد حينما غزاهم عنترة، ثم وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع زيد الخيل وأسلم[٢٨]، ومُخلَّد بن أصمع بن أبي عبيدة، كان سيداً منيعاً جاهلياً، نزل عليه امرؤ القيس بن حجر الشاعر الكندي المشهور الذي خلّد أسماء مواقع في الجبلين، ومن بينها عنيزة، وهي جبيل شمال شرق فيد، وهو الذي يسمى اليوم الحويض، (وصيلع)، وهو جبيل أبرق في جنوب شرق النفود غرب طريق زبيدة[٢٩].

أهمية فيد في الإسلام

في سنة إحدى عشرة للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ماجت قبائل العرب، وغردت نحو الردة، فجرد عليها رضي الله عنه صناديد العرب من القواد، وكان من بين أهل الارتداد طليحة بن خويلد الأسدي بمنطقة سلمى، وكان من نصيب خالد بن الوليد المخزومي؛ لأن طليحة يُعدُّ بألف فارس عدا أبطال مساعير من بني أسد ومن أحلافهم من غطفان، وكان على مقدمة خالد أبطال من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر؛ مثل: عكاشة بن محصن الأسدي، وثابت بن أقرم البلوي (حليف الأنصار)، وضرار بن الأزور الأسدي رضي الله عنهم، فوقعت معارك بين الطرفين شديدة في (بزاخة) و(قطن) حتى انتهت إلى هزيمة المشركين، وهروب طليحة بن خويلد، فلحقه عكاشة بن محصن، وطارده، فكرّ عليه طليحة وقتله، ثم جاء ثابت بن أقرم فقتله طليحة أيضاً، وقبراهما ضمن مجموعة من قبور المسلمين شرق قرية (الخوي) مقابلها بجوار صخرة من صخور جبل سلمى سوّرها أمير قرية (رك) وقفلها رحمه الله، والمقبرة بارزة اليوم ليس عندها أحد.

ولما توجّه خالد بن الوليد إلى فتح العراق بعد انتصاره على مسيلمة الكذاب في اليمامة مرّ بفيد والثعلبية[٣٠]، وأقام بها سعد ابن أبي وقاص شهراً حتى تواردت عليه الناس لغزو العراق[٣١]، ونزل عليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في طريقه إلى العراق، فمكث فيها بعض الوقت، فأتته بنو أسد وطيء، فعرضوا أنفسهم، فقال: الزموا قراركم في المهاجرين كفاية[٣٢]. ولما قامت الغوغاء على أمير المؤمنين عثمان بن عفان سار لنجدته القعقاع بن عمرو من الكوفة، فلما بلغ فيداً، وبلغه

ذكر الحربي في المناسك أنه كان بفيد قصر السلطان وبساتين وحصون بعضها خربة، ومسجد جامع ومنبر، وبها بركة مربعة، وثلاث عيون آبار ليست بالعذبة

في سنة ٥٧٩هـ حج ابن جبير، ثم غادر مع الحاج إلى العراق، فقال: أصبحنا على فيد يوم الأحد، وهي حصن كبير مبرج

الخبر بمقتل عثمان، رجع[٣٣]. وجعلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمى لإبل الصدقة وإبل القتال، وقيل: إن الذي جعلها كذلك هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وحفر بفيد عين جارية، وبعث إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه معلماً يعلّم الناس القرآن، وأظنّ أن عثمان بن عفان كان فعل ذلك.

وفي العصر الأموي كانت ولاية فيد لأهلها من طيء، وكانت الزكاة من نصيب والي المدينة، وارتفع مكان فيد عمّا كان عليه زمن صدر الإسلام وقبله الجاهلي. وفي عهد هشام ابن عبدالملك (١٠٥- ١٢٥هـ) كان يسكن فيد الجواد المشهور الحكم بن المطلب بن عبدالله بن حنطب المخزومي القرشي العين - أحد أعيان زمانه جوداً ووجاهةً[٣٤]، وربما أنه استحلى السكنى فيها لطبيعة هوائها، أو أن والي المدينة كلّفه جباية الزكاة، لكنه انتقل إلى الشام مجاهداً، وتوفي بمنبج، وفيه قال إبراهيم بن هرمة يمدحه بعد وفاته[٣٥]:

مــاذا بمنْـبـجَ لـو تُـنْـبـش مـقـابـرُهـا
مَـــنِ المُـــقَـــدَّمُ بـالـمـعـروف والـكـرمِ
سـالـوا عـن المجـد والمـعـروف مـا فعلا
فـقـلـتُ: إنــهــمــا مــاتــا مــع الحـكـم

وازدادت أهمية فيد في آخر العصر الأموي؛ إذ كانت ملتقًى







مزرعة وبئر قديمة وحوض ماء

لحجاج العراق، خصوصاً من ناحية الكوفة وواسط، وكثر فيها المتبضّعون والتجار من كلّ صوب؛ فولّى عبدالواحد بن سليمان ابن عبدالملك -أمير المدينة- عليها أمية بن عبدالله بن عمرو ابن عثمان بن عفان، واستقرّ بها، وذلك في عصر الخليفة مروان ابن محمد. وفي آخر العصر الأموي انتقلت ولاية فيد إلى واسط بالعراق؛ إذ وليها أبو الديلم مولى يزيد بن عمر بن هبيرة -أمير العراق من قبل يزيد- فأنشأ بها عيناً للمياه، وكان آخر والٍ أموي.

ازدهرت مدينة فيد في العصر العباسي أيّ ازدهار، وأصبحت مدينةً مركزيةً بها منبر، ومراكز حكومية، وقواعد للجيش الذي كان مسؤولاً عن تأمين آلاف الحجاج، وسلامة الطريق، وحُفرت الآبار، وشُقت العيون والطرقات بها، وبنى بها الخلفاء العباسيون والأمراء والوزراء والمحسنون والمحسنات المصانع والبرك، وبُنيت بها المساكن والدور والقصور والمساجد، وصارت من الحواضر المهمة، خصوصاً عندما يُمرُّ بها أيام الموسم، حتى قيل: ليس بين المدينة والعراق مكان يستقلّ بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد[٣٦]؛ فلذلك عظم شأنها في العصر العباسي.

قال قدامة بن جعفر: فيد منزل العامل، وفيها قناة وزروع ومنبر[٣٧]. وقال ابن خُرّداذبه: فيد، وهي نصف الطريق، فيها عين تجري، وبفيد منبر وأسواق وبرك وعيون جارية[٣٨]. وعند ابن حوقل: ليس بين المدينة والعراق مكان يستقلّ بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد، وهي بديار طيء، وجبلا طيء منها على مسيرة يومين، وبها نخل وزروع قليلة لطيء، وبها ماء تافه، ويسكنها بادية من طيء ينتقلون عنها في بعض السنة ينتجعون المراعي[٣٩]. قلت: وهي بشرقي سلمى -أحد جبلي طيء المشهورين- على مسافة خمسة عشر كيلومتراً، وعن أجا تسعين كيلومتراً.

وعند الطبري فإن منبرها كبير، وهو يضاهي منبري المدينة ومكة، والمنبر هو الولاية الكبرى. وقال الزبيدي: بليدة بطريق مكة في نصفها من الكوفة، وفي وسطها حصن عليه باب حديد، وعليها سور دائر[٤٠]. وقال جواد علي: وفيد موضع مهم بطريق مكة، في نصفها من الكوفة، به حصن عليه باب حديد، وعليه سور دائر. وكان الناس يودعون فيه فواضل أزوادهم وما ثقل من أمتعتهم إلى حين رجوعهم. وذكر أن فيداً فلاة في الأرض بين أسد وطيء في الجاهلية، فلما قدم زيد الخيل الفارس المشهور على رسول الله أقطعه فيداً... والظاهر أنها من المواضع القديمة، وقد ورد اسمها في الشعر الجاهلي والإسلامي[٤١]. وقال في موضع آخر: فيد، وهي نصف الطريق، وبها منزل العامل في الإسلام، وبها أسواق وقناة وزروع وبرك وآبار وعيون جارية، وقد عظم شأنها في الإسلام، فذكر أن بها حصناً عليه باب من حديد، وعليها سور دائر[٤٢].

وقال ياقوت الحموي: وأهلها -أهل فيد- مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادّخار العُلوفة طوال العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم. وقال السكوني: فيد نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة، وهي أثلاث: ثُلث للعمريين، وثلث لآل أبي سلامة من همدان، وثلث لبني نبهان من طيء، وبين فيد ووادي القرى ستّ ليال على العزيمة، وليس من دون فيد طريق إلى الشام بتلك المواضع رمال لا تسلك حتى تنتهي إلى زُبالة أو العقبة على الحزن، فربما وجد به ماء، وربما لم يوجد، فيجنب سلوكه[٤٣]. قلت: ربما يُستفاد من نصّ ياقوت هذا أن ثلثي سكان فيد وقته هم العمريون سلالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهمدان فتأمّل، إلا أنه في (البدء والتاريخ)، و(الأعلاق النفيسة)، و(المسالك والممالك) للإصطخري، أن البلد لطيء[٤٤].

وذكر الحربي في المناسك: أنه كان بها قصر السلطان

من أهل فيد الذين كان لهم الصوت الرفيع في الدولة العباسية: خالد بن معدان بن شمس النبهاني، الذي شهد مع علي بن أبي طالب يوم الجمل

اهتمت الجامعات وهيئة السياحة والآثار بالتنقيب عن الأثر التاريخي المهم لفيد في حقبتها الإسلامية الشهيرة



قال ياقوت الحموي عن فيد: أهلها مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طوال العام وبيعها للحجاج

كانت فيد ممراً لمن أراد مكة والمدينة وهو قادم من الكوفة أو بغداد أو حواضر الإسلام من وسط آسيا أو العكس

وبساتين وحصون بعضها خربة، ومسجد جامع ومنبر، وبها بركة مربعة، وثلاث عيون آبار ليست بالعذبة، فمن خيارها بئر تُعرف بمسجد الملاقبين، وهي بئر عبدالصمد، وبئر الفضل بن الربيع، وبئر عمر بن فرج، وبئر عمران بن عمر، وبئر تُعرف بالطرفانية، وثلاث من العلافين، وبئر تُعرف بوهيب، وعين المحلّ هي التي وراء النخل، يُقال: إن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- احتفرها وهي عذبة. والحارة التي وسط الحصن والسوق حفرها، والباردة التي خارج المنزل على الطريق حفرها الخليفة العباسي المهدي(٤٥).

وفي سنة ٥٧٩هـ حجّ ابن جبير، ثم غادر مع الحاج إلى العراق، فقال يصف فيداً: وأصبحنا على فيد يوم الأحد، وهي حصن كبير مبرّج -أي: عليه أبراج- مشرف في بسيط من الأرض، يمتد حوله ربض يطيف به سور عتيق البنيان، وهو معمور بسكان من الأعراب ينتعشون مع الحاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق، وهناك يترك الحاج بعض زادهم إعداداً للإرمال من الزاد عند انصرافهم، ولهم بها معارف يتركون أزودتهم عندهم. وهذا نصف الطريق من بغداد إلى مكة على المدينة شرّفها الله، أو أقلّ سيراً، ومنها إلى الكوفة اثنا عشر يوماً في طريق سهلة طيبة، والمياه فيها -بحمد الله- موجودة في مصانع كثيرة، ودخل أمير الحاج هذا الموضع المذكور على تعبئة وأهبة إرهاباً للمجتمعين به من الأعراب لئلاّ يدخلهم الطمع في الحاج؛ فهم يلحظونهم مستشرفين إلى مكانهم، لكنهم لا يجدون إليهم سبيلاً والحمد لله. والماء بهذا الموضع كثير في آبار تمدّها عيون تحت الأرض، ووجد الحاج فيها مصنعاً قد اجتمع فيه الماء من المطر، فانتزف للحين، وامتلأ أيد الحاج القرمين -هكذا- من أغنام العرب بالمبايعة المذكورة، فلم يبقَ مضرب ولا خيمة ولا ظلالة إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان بحسب القدرة والوجد، فعمّ جميع المحلة غنم العرب، وكان ذلك اليوم عيداً من الأعياد، وكذلك عمّتهم أيضاً جمالهم لمن أراد الابتياع منهم من الجمالين وسواهم للاستظهار على الطريق. وأما السمن والعسل واللبن، فلم يبقَ إلا من تحمّل أو استعمل منها بقدر حاجته. وأقام الناس يومهم ذلك مريحين إلى ظهر الاثنين بعده، ثم أسروا نصف الليل ترتيب سيرهم المذكور، ونزلوا ضحوة يوم الثلاثاء الثامن عشر للمحرم سنة ٥٨٠هـ، وهو أول يوم من مايه بموضع يُعرف بالأجفر(٤٦).

منظر رائع في فيد عقب الأمطار



وكانت الأسوار عليها من أبي جعفر المنصور أو قبله؛ إذ كان عليها سور دائر سنة ١٤٥هـ، وحوله خندق. وفي القرن الثامن الهجري أيضاً كان سورها لا يزال حولها. وكانت دوائر العصور والمنغصات تترى على فيد، سواء من الأعراب الجائعين أو القرامطة المخرّبين، وبدا العباسيون يتوجّسون شرور هذه المنعطفات والدوائر على فيد، حتى إن أبا جعفر المنصور أمَّر كثير بن حصن العبدي على طريق الكوفة مكة، وقدمه سنة ١٤٥هـ، فعسكر بفيد، وخندق عليه خندقاً حتى وفد عليه عيسى بن موسى العباسي، فخرج به إلى المدينة(٤٧).

وفي سنة ٢٢٦هـ حجّ بالناس محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بأمر القائد أشناس، وكان أشناس حاجاً هذه السنة، فولي كل بلدة يدخلها، فدُعي له على جميع المنابر التي مرّ بها من سامراء إلى مكة والمدينة، فدعا له على منبر الكوفة محمد بن عبدالرحمن بن عيسى بن موسى العباسي، وعلى منبر فيد هارون بن محمد بن أبي خالد المروروذي -من مرو الروذ- وعلى منبر المدينة أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي، وعلى منبر مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى، وسُلّم عليه في هذه الكور كلها بالإمارة، وكانت له ولايتها إلى أن رجع إلى سامراء(٤٨).

وفي سنة ٢٣٠هـ خرج بغا الكبير -القائد- فقتل في طريق



الحجاز البدو الذين عاثوا في الطريق، واستفحل أمرهم خلقاً عظيماً، وصلبهم على الشجر، وهم من سليم وقيس عامةً، وكان على أحداث الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق[٤٩].

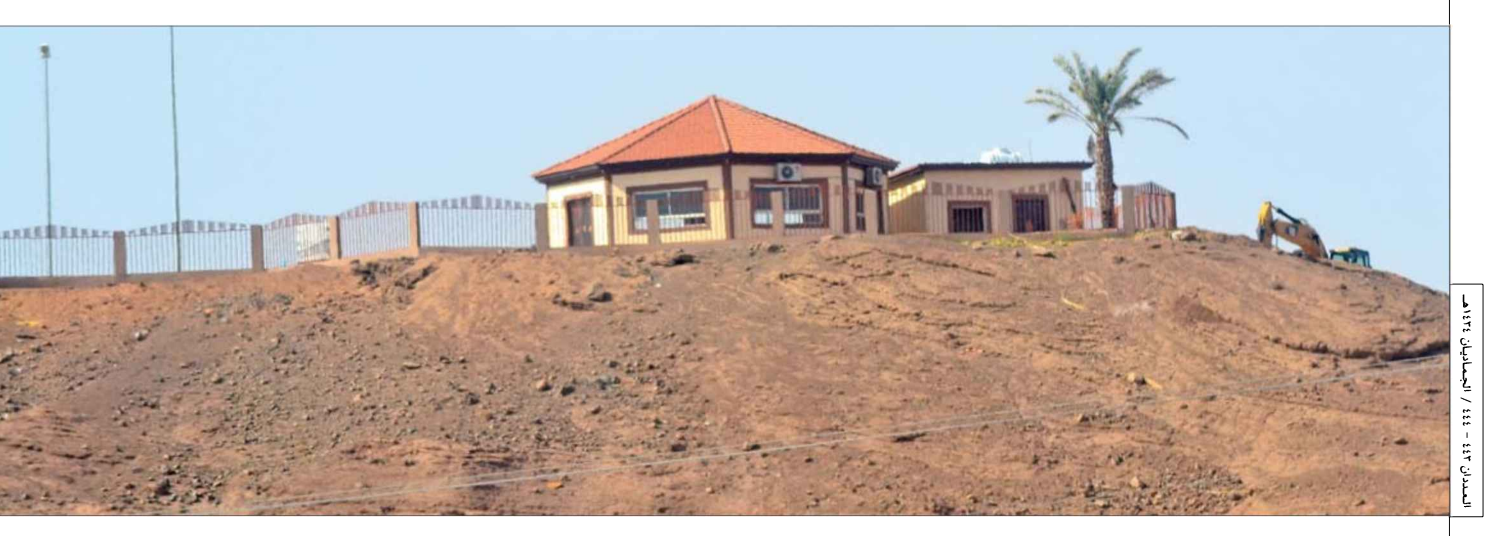
وفي سنة ٢٣٤هـ حجّ بالناس محمد بن داود أيضاً، وحجّ في هذه السنة القائد إيتاخ الخزري -من الخزر- وكان على الموسم، ودُعي له على المنابر[٥٠]. وفي سنة ٢٣٩هـ حجّ جعفر بن دينار، وكان والي طريق مكة مما يلي الكوفة، فولي أحداث الموسم، وولي الموسم السنوات الآتية حتى ٢٤٣هـ[٥١]. وفي سنة ٢٤٤هـ، وفيها عقد المتوكل العباسي لأبي الساج على طريق مكة[٥٢].

وفي سنة ٢٤٦هـ ولي أعمال الموسم عبدالله بن طاهر[٥٣]، وعلى أحداث الموسم أبو الساج الذي بقي على أحداث الموسم حتى سنة ٢٧٠هـ[٥٤]. وفي سنة ٢٦٥هـ قتل أعراب طيء وأسد والي طريق مكة الكوفة علي بن مسرور البلخي[٥٥].

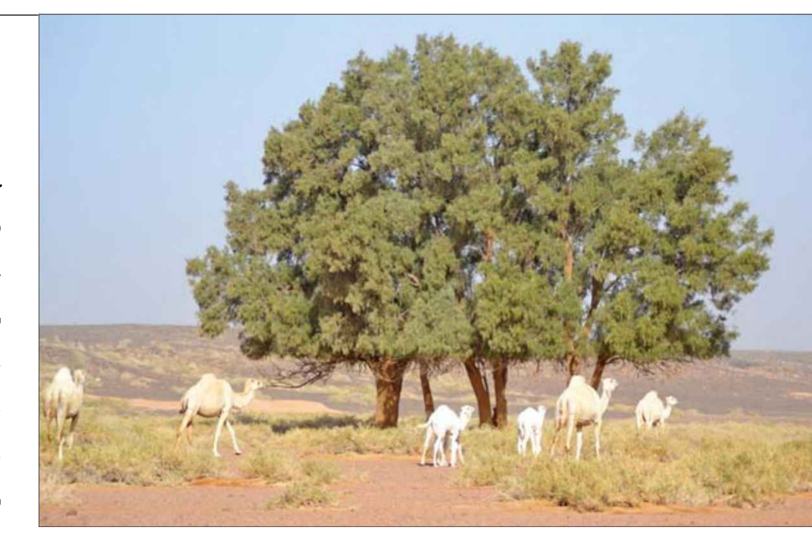
وفي سنة ٢٦٩هـ قام بعض الأعراب بالهجوم على قافلة للحجاج بين سميراء وتُوز، ونهبوا وسلبوا ما كانت تحمله، وأسروا بعض الحجيج[٥٦]، وهذا بالقرب من فيد، جنوبه. وفي سنة ٢٧١هـ عقد الأحمد الطائي على المدينة ومكة[٥٧]. وفي سنة ٢٨٥هـ قطع صالح بن مدرك الطائي في بني نبهان من طيء، وسنبس من طيء أيضاً، وغيرهم من طيء، بالحاج، وعلى الحاج الجني الكبير حسب الطبري، وجيء حسب المسعودي، وكانت للجني مع صالح ومن معه من الطائيين حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الأجفر شمال فيد، وتشوش الحاج، وأخذهم بالسيف، فمات عطشاً وقتلاً خلائق من الحاج، وأصاب الجني ضربات كثيرة، وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم، وتقول:

ما إن رأى الناس كيوم الأجفر
الناس صرعى والقبور تحفر

وأخذ من الناس نحو ألفي ألف دينار[٥٨]، وأخذوا جماعةً من



بعض المناظر في فيد الحالية



النساء الحرائر والمماليك[٥٩].

وفي سنة ٢٨٦هـ ظفر أبو الأغرّ خليفة بن المبارك السلمي بصالح بن مدرك الطائي بناحية فيد مكراً في ذهابهم إلى مكة، وقد كانت الأعراب جمعت لأبي الأغر ليستنقذوا صالحاً من يده، فواقعهم، وقتل رئيسهم جحش بن ذيال وجماعة معه، وأخذ رأسه، فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن ذيال يئس من الخلاص من يد أبي الأغر، فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشي أتاهم غلام بطعام، فاستلب منه سكيناً، وقتل نفسه، وأخذ أبو

ازدهرت مدينة فيد في العصر العباسي أي ازدهار، وأصبحت مدينةً مركزيةً بها منبر، ومراكز حكومية، وقواعد للجيش الذي كان مسؤولاً عن تأمين آلاف الحجاج

الخيزران والدة هارون الرشيد حجت فمرت بفيد، وزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور حجت مرات ومرت بفيد

الأغرّ رأسه، وأظهره بالمدينة، فتباشر الحاج. وكانت لأبي الأغرّ في رجوعه وقعة عظيمة، اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الأعراب، وكانت الأعراب قد اجتمعت وتحشّدت من طيء وأحلافها، فكانت رجالتها نحواً من ثلاثة آلاف راجل، والخيل نحواً من ذلك، فكانت الحرب بينهم ثلاثاً، وذلك بين معدان القرشي والحاجر، ثم انهزمت الأعراب وسلم الناس، وكان ممن تولّى مع أبي الأغرّ الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الأعلى. ودخل أبو الأغر مدينة السلام، وقُدامه رأس صالح وجحش، ورأس غلام لصالح أسود، وأربعة أسارى، وهم بنو عمّ صالح بن مدرك، فخلع السلطان في ذلك اليوم على أبي الأغرّ وطوّقه بطوق من ذهب، ونصب الرؤوس على الجسر من الجانب الغربي (من بغداد)، وأدخل الأسارى المطبق[٦٠].

وفي سنة ٢٩٤هـ سار زكرويه القرمطي إلى فيد، وكان بفيد عامل السلطان، يُقال له: حامد بن فيروز، فالتجأ منه حامد إلى أحد حصنيها في نحو من مئة رجل كانوا معه في المسجد، وشحن الحصن الآخر بالرجال. فجعل زكرويه يراسل أهل فيد، ويسألهم أن يسلموا إليه عاملهم ومَن فيها من الجند، وأنهم إن فعلوا ذلك أمّنهم، فلم يجيبوه إلى ما سأل. ولما لم يجيبوه حاربهم، فلم يظفر منهم بشيء، فلما رأى أنه لا طاقة له بأهلها تنحّى فصار إلى النباج، ثم إلى حفير أبي موسى الأشعري[٦١].

وفي سنة ٢٩٤هـ أيضاً حاصر أعراب طيء وصيف بن صوارتكين بفيد، وكان وُجّه أميراً على الموسم، فحوصر ثلاثة أيام، ثم خرج إليهم فواقعهم فقتل منهم قتلى، ثم انهزمت الأعراب، ورحل وصيف من فيد بمن معه من الحاج[٦٢]. وفي سنة ٢٩٤هـ أيضاً كانت وقعة بين القرامطة والحاج على طريق الكوفة مكة، وكانت الهزيمة على الحاج، ونهب أمتعتهم[٦٣]. وفي سنة ٢٩٥هـ كانت وقعة للجيش العباسي على أعراب طيء الذين حاربوا الحاج في سنة ٢٩٤هـ، فكانت الهزيمة على طيء، ومقتل عدد منهم[٦٤]. وفي سنة ٣٠٢هـ أخذ أعراب طيء الحاج، واستباحوا حرمهم، ومات من سلم عطشاً[٦٥].

وولّى الخليفة المقتدر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان التغلبي طريق مكة وحمايته، وكان مقرّه فيد[٦٦]؛ ففي سنة ٣١٢هـ وقعت مناوشات بينه وبين القرامطة، إلا أن القرامطة لم يواجهوه

بالذات؛ لأنه كان يذلّهم، ويهزم طلائعهم. وفي سنة ٣٧٩هـ هاجم مفرج بن دَغْفَل بن الجراح الطائي الحاج بين سميراء وفيد، فصالحوه على ٣٠٠ ألف درهم وشيء من الثياب[٦٧]. وفي سنة ٤١٢هـ هاجم أعراب طيء الحاج الخراسانيين، وذلك في عصر الأمير محمود الغزنوي[٦٨] من غزنة بأفغانستان. وفي سنة ٥١٥هـ هاجم أعراب طيء فيداً، وخرّبوها، وأخذوا بعض ممتلكات أهلها[٦٩]. ولم تتعافَ فيد من هجمات الأعراب والقرامطة أيضاً، وهذا الأمر جعل العباسيين دائماً يشكّلون لها خلية أزمات عسكرية؛ لكبح خواطر الطريق من أجل حج آمن؛ فنحن نجد أنهم كانوا ينشرون قوات ضاربة على الطريق، ويكون مقرّ القائد العام في فيد، وهو يحفظ هذا الطريق في الكوفة وفيد والمدينة ومكة، وكانوا يضعون أكابر قوادهم من أجل ذلك؛ مثل: بغا الكبير، وأشناس، وأبي الساج، وغيرهم.

ومن أهل فيد الذين كان لهم الصوت الرفيع في الدولة العباسية، وقبلها أيضاً، نذكر: خالد بن معدان بن شمس النبهاني، الذي شهد مع علي بن أبي طالب يوم الجمل، وكان من أكابر بني نبهان. وآل قحطبة زياد بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس، وكانوا أعياناً ورأساً في الدولة؛ فزياد بن شبيب كان نقيباً من نقباء بني العباس، وقد اجتاح بجيوشه الشرق حتى أسقط الدولة الأموية في العراق، وتولّى ابنه الحسن بن زياد بن شبيب قيادة الجيوش العباسية حتى مقتل يزيد بن عمر بن هبيرة خليفةً لأبيه الذي قتل قبيل سقوط الدولة الأموية بقليل، ثم كان قائداً لها على أرمينية وبلاد الروم، ولقب بالتنين لقوة بأسه، وكان جواداً كريماً، ومن سلالته من تولّى قيادة الجيوش والإمارة في الدولة العباسية. والقائد الفذ العين حميد بن عبدالحميد بن ربعي بن خالد بن معدان بن شمس النبهاني الطائي، المعروف بالطوسي؛ لأنه كان بطوس، وكان قائداً مشهوراً، وقد ألّفنا فيه كتاباً سمّيناه: (حميد بن عبدالحميد الطائي الأمير القائد الجواد). وللعكّوك عينية مشهورة من الغرر في رثاء حميد الطوسي هذا، وقد توفي أمير المؤمنين هارون الرشيد ببيته بطوس. ومحمد بن حميد بن عبدالحميد، كان قائداً فذاً، وعارك بابك الخرمي في مواقع مشهورة في تاريخ العرب، وقد قتله بابك سنة ٢١٤هـ، ورثاه أبو تمام برائية رائعة من الشعر العربي النادر، منها:

فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها: من تحت أخمصك الحشرُ

كأن بني نبهان يوم وفاته
نجوم سماء خرَّ من بينها البدرُ

يُعزون عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلا
ويبكي عليه البأس والجود والشعرُ

وآل الطوسي كثر، كانوا قواداً في الدولة، ومنهم من تولّى الإمارات. وعرابي بن شر بن خطامة النبهاني أحد قواد أبي جعفر المنصور، ويوسف بن عقيل بن حيان النبهاني أيضاً كان قائداً للعباسيين، وعمران بن عمرو بن حسان النبهاني كان على فارس للعباسيين، وعبدالله بن وزر النبهاني الطائي كان على فيد والياً على أسد وطيء، وكان عليها سنة ١٩٠هـ، ومحمد بن عبدالملك بن حبيب الأسدي الفقعسي، كان على فيد بعد عبدالله بن وزر، وكان معنياً بمآثر بني أسد وأخبارها، ورُوي عنه ذلك، وكان فصيحاً شاعراً[٧٠].

وكانت فيد ممراً لمن أراد مكة والمدينة أو نواحيهما وهو قادم من الكوفة أو بغداد أو حواضر الإسلام من وسط آسيا أو العكس، أو أراد الحج من الأعيان والخلفاء والأمراء والقواد العباسيين، ونذكر منهم: الخليفة أبا جعفر المنصور -رحمه الله- وقد حجّ

لما توجه خالد بن الوليد إلى فتح العراق بعد انتصاره على مسيلمة الكذاب في اليمامة مر بفيد والثعلبية، وأقام بها سعد بن أبي وقاص شهراً

من سادات فيد وأعيانها في الجاهلية: وزر بن جابر بن سدوس بن أصمع النبهاني الطائي، الذي قتل عنترة بن شداد



اهتمام كبير بتطوير فيد

كانت ولاية فيد في العصر الأموي لأهلها من طيء، وكانت الزكاة من نصيب والي المدينة، وارتفع مكان فيد عما كان عليه زمن صدر الإسلام وقبله

تقع بلدة فيد في منطقة حائل، وتبعد من مدينة حائل نحو ٩٠ كيلومتراً غرب الطريق السريع حائل- القصيم

مرات، وكان مروره على فيد، والخليفة المهدي، وقد حجّ فمرّ بها، وموسى الهادي، وقد حجّ وهو وليّ للعهد فمرّ بفيد، وهارون الرشيد وقد حجّ عدة مرات، وكان مروره في بعضها على فيد.

ومن نساء العباسيين نذكر: الخيزران والدة هارون الرشيد والهادي، وقد حجّت فمرّت بفيد، وزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، وقد حجّت مرات ومرّت بفيد، وهي صاحبة مشروعات المياه بطريق الكوفة مكة التي بذلت الغالي من الأموال من أجل ذلك، وشجاع والدة المتوكل، وقد حجّت فمرّت بفيد.

ومن القواد والأمراء والأميرات أعداد كبيرة لا يمكن

حصرها في مثل هذه المقالة، من أبرزهم: أبو دلف العجلي -القائد المشهور، سيد ربيعة كلها في زمنه- وقد بنى مدينة الكرج بالجبال وهو عين فذ، حجّ وبنى حصناً بتَوز بجوار فيد للمصدر منه إلى مكة، وصفه المؤرخون والأدباء بأنه كان كريماً سرياً جواداً ممدحاً شجاعاً مقداماً، ذا وقائع مشهورة، وصنائع مأثورة، فاتكاً، وقد ألّفنا فيه كتاباً سمّيناه (أبو دلف العجلي مفخرة من مفاخر العرب)، وهو كذلك، وكان شاعراً، وله:

لقد علمتْ وائلٌ أننا
نخوض الحُتُوفَ غَداة الحتوفِ
ولا نتّقيها بزحف الفرار
إذا ما الصفوفُ انبرت للصفوفِ

وكان ممدحاً، مات سنة ٢٢٦هـ.

ومرّ بمدينة فيد، لا بل سكنها بعض الوقت، القائد المشهور أشناس، وكذلك القائد بغا الكبير مرّ بها ونزلها بعض الوقت، وكان الثلاثة من أشهر ما أنتجته القيادة العسكرية العباسية على مرّ زمانها. ونزلها القائد أبو الساج وقتاً؛ لأنه كانت له مهمة حفظ الطريق، طريق الحاج.

ومن العلماء وأصحاب الفكر الإسلامي الذين كانوا منها، أو قطنوها، أو مرّوا بها ذاهبين إلى الحج: وكيع بن الجراح الفقيه المشهور، وهو من بني رؤاس من بني عامر بن صعصعة، توفي سنة ١٩٧هـ بفيد منصرفه من مكة حاجاً، ودفن بمسجده خارج المدينة[٧١]. والقاضي عبدالرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة الضبي، توفي بفيد في أثناء توجّهه إلى الحج سنة ٢٣٢هـ[٧٢]، وأبو نصر بن الحناط الشيرازي، كان فقيهاً توفي بفيد[٧٣].

ومرّ بفيد حاجاً الإمام يحيى بن معين البغدادي العالم المشهور[٧٤]، وعبدالله بن راشد بن يزيد الملقب بالأكار من أهل فيد، وقد عُني بالروايات التاريخية، وهو من شيوخ عمر بن شبة[٧٥]. وأبو جعفر محمد بن جعفر بن أبي مواية، أو مواتية، الكوفي الكلبي

منظر جمالي يزين فيد





فيد تتلألأ بالأنوار والجمال ليلاً

الفيدي، من أهل الكوفة نزل فيد، فقيل له: الفيدي؛ لنزوله بها، لا لأنه منها، روى عن محمد بن فضيل الكوفي، وروى عنه محمد بن إسماعيل البخاري(٧٦). وأبو العباس أحمد بن هاشم الكناني الكوفي المعروف بالفيدي وبالطريقي، روى الحديث ورُوي عنه، كان

مر بمدينة فيد، وسكنها بعض الوقت، القائد المشهور أشناس، والقائد بغا الكبير، وهما من أشهر ما أنتجته القيادة العسكرية العباسية

ازدادت أهمية فيد في آخر العصر الأموي؛ إذ كانت ملتقى لحجاج العراق، خصوصاً من ناحية الكوفة وواسط

حياً سنة ٣٢٣هـ(٧٧). وأبو سيار أيوب بن سيار الزهري المديني، من أهل المدينة، سكن فيد، فسُمِّي بالفيدي(٧٨). وداود بن عناب الفيدي، راوية للتاريخ، وكان نبيلاً صدوقاً(٧٩). وعيسى بن إبراهيم الفيدي، محدث(٨٠). ونزل بفيد غير مرة السمعاني المشهور، وسمع بها الحديث، وتوفي سنة ٥٦٢هـ(٨١). وينسب إلى فيد: أبو محمد يحيى بن ضريس الفيدي الكوفي(٨٢)، وابنه محمد بن يحيى بن ضريس الفيدي الكوفي، كان يسكن بفيد، روى وروي عنه(٨٣)، وأبو إسحاق إبراهيم بن عيسى الفيدي، يروي عن موسى الجهني، وروى عنه عبدالله بن عامر بن زرارة الكوفي(٨٤)، ومحمد بن الطفيل بن مالك النخعي الكوفي، استوطن فيداً(٨٥).

وأقام بها الفقيه المحدث عبدالله بن أبي نضر الجيلي، وتوفي بها سنة ٥٤٥هـ. وسكن فيداً بعض الوقت الفقيه شيخ الصوفية محمد بن خفيف بن أسفكشار الضبي، المتوفى سنة ٣٧١هـ(٨٦)، ومحمد بن إبراهيم بن محمد الصقيلي الجرجاني الدامغاني الصوفي، ودرّس بفيد بعض الوقت(٨٧)، والمحدث أبو العطاء إسماعيل بن محمد بن أحمد الهروي، ودرّس فيها الحديث(٨٨)، وأبو طاهر أحمد بن محمد الأصفهاني السلفي(٨٩)، والمحدث

سهل بن عبدالرحمن الجرجاني، حدّث بفيد[٩٠]، وفرج بن إبراهيم بن محمد المرجي، درّس عليه الطلاب بفيد[٩١].

فيد في الشعر العربي

ورد ذكر لفيد في الشعر الجاهلي والإسلامي، نورد منه هذه المقتطفات من قصائد طويلة لشعراء العربية. قال سلمة بن الخُرْشُب الأنماري، وهو جاهلي سيد من بني غطفان، من قصيدة طويلة[٩٢]:

وأمسوا حِلالاً ما يُفرَّقُ بينهم

على كلِّ ماءٍ بين فيدَ وساجرِ

وقال زهير بن أبي سلمى، جاهلي[٩٣]:

ثم استمروا وقالوا: إنَّ مشربَكُمْ

ماءٌ بشرقي سلمى: فَيْدُ أو رَكَكُ

قال الأصمعي: سألتُ نجيبات فيد عن ركك، فقيل: ماء هاهنا يسمى (رَكًّا)، فعلمت أن زهيراً احتاج فضعف[٩٤].

وقال لبيد بن ربيعة العامري، صحابي رضي الله عنه، وذلك في معلّقته الجاهلية المشهورة[٩٥]:

مُرِّيَّةٌ حَلّت بفيد وجاورتْ

أرضَ الحجاز فأيْنَ منك مَرامُها؟!

بمشارق الجبلين أو بمحجَّرٍ

فتضمَّنتها فَرْدَةٌ فرخامُها

وقال زيد الخيل النبهاني، صحابي رضي الله عنه[٩٦]:

نزلْنا بين فيدٍ والخلافي

بحيّ ذي مُداراة شديد

وقال الشماخ الذبياني الغطفاني، صحابي رضي الله عنه[٩٧]:

سَرَتْ من أعالي رحرحان فأصبحتْ

بفيد وباقي ليلها ما تحسَّرا

وقال الطرماح الطائي، أمويّ العصر[٩٨]:

كأنْ لم تقظْ سلمى على الغمر قيظةً

ولم ينقطع منها بفيدَ ربيعُ

المراجع

(١) كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، نصر الإسكندري، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ودارة الملك عبدالعزيز: ٢/٣٣٢.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، (فيد)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بيروت: دار العلم للملايين، وبغداد: مكتبة النهضة، ١٩٧٣م: ٤/٢٢٥، ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م: ٤/٢٨٢.

(٣) كتاب الأفعال، السرقسطي، تحقيق: حسين محمد شرف، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م: ٤/٣٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، (فيد).

(٥) القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، (فيد).

(٦) مدينة فيد: دراسة في تاريخها السياسي والحضاري حتى نهاية العصر العباسي، عبدالعزيز السنيدي، الرياض، ١٤٢٧هـ.

(٧) تاج العروس، (فيد).

(٨) كتاب الأمكنة والمياه: ٢/٣٣٢. تاج العروس، (فيد).

(٩) تاج العروس، (فيد).

(١٠) المحبر، ابن حبيب، رواية السكري، صحّحته: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت: المكتب التجاري، ص٣١٦.

(١١) تاج العروس، (فيد).

(١٢) المفصل في تاريخ العرب، ٥/٢٦٩.

(١٣) تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف، ط٣: ٣/١٤٥، ١٤٦.

(١٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبدالملك الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف، ١٩٨٥م، ص١٠١.

(١٥) جمهرة أنساب العرب، علي بن حزم، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مصر: دار المعارف، ١٩٨٢م، ص٤٠٣.

(١٦) تاريخ الطبري: ٣/١٤٥، ١٤٦.

(١٧) جمهرة أنساب العرب، ص٤٠٣.

(١٨) المفصل في تاريخ العرب: ٧/١٤٨.

(١٩) ثمار القلوب، ص١٠١. المفصل في تاريخ العرب: ٥/٣٩١.

(٢٠) المحبر، ص٢٣٢.

(٢١) ثمار القلوب، ص١٠١.

(٢٢) جمهرة أنساب العرب، ص٤٠٣.

بلى قد رأينا ذاك إذ نحنُ جيرةٌ

ولكنَّ سلمى للوصال قطوعُ

وقال معدان بن رأس الطائي، وكان آخر العصر الأموي[٩٩]:

ومن قبل ما جئنا وجاءتْ وفودنا

إلى فيد حتى ما تعذر حالها

وقال مصبح أو نصيح بن منظور الأسدي، إسلامي[١٠٠]:

لقد أشمتَتْ بي أهلَ فيدَ وغادرتْ

بجسمي حِبْراً بنتُ مَصَّانَ باديا

وقال محمد بن عبدالملك بن حبيب الفقعسي الأسدي، وكان والياً على فيد بعد سنة ١٩٠هـ[١٠١]:

سقى الله حياً بين صارة والحمى

حمى فيد صوب المدجنات المواطِر

وقال الحزازة العامري[١٠٢]:

فَرُبَا يحمد فأجا وسلمى

تغتبي في نصيبهنَّ الظباءُ

شاكلتْ فيدها زُبالة خصباً

وكذاك الشقوقُ فالقرعاءُ

وقال أبو فراس الحمداني[١٠٣]:

كأن سفيناً بين فيد وحاجر

يَحُفُّ به منٍ آل قيعانه بحرُ

قال الزبيدي: قال شيخنا: ورأيت في كتب الأمثال أنه يوجد فيها -في فيد- كعك يضرب به المثل، ونظمه شيخ الأدباء مالك بن المرحّل في نظمه للفصيح[١٠٤]:

وتلك فيدٌ قريةٌ والمَثَلُ

في كعك فيدَ سائر لا يجهلُ

وقال عياض بن درة الطائي، إسلامي[١٠٥]:

تعالوا نخبركم بما قدمت لنا

أوائلنا في المجد عند الحقائقِ

ونحن منعنا من مَعَدٍّ نساءكم

وأنتم حلول بين فيد وناعقِ

(٢٣) المعارف، ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، مصر: دار المعارف، ص٣٣٣.
(٢٤) نفسه، ص٣٣٣.
(٢٥) جمهرة أنساب العرب، ص٤٠٤.
(٢٦) نفسه، ص٤٠٤.
(٢٧) فتوح البلدان، البلاذري، علّق عليه: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٤٢٧.
(٢٨) نسب معد واليمن الكبير، هشام بن محمد الكلبي، تحقيق: ناجي حسن، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ، ص٢٦١.
(٢٩) نفسه، ص٢٦٠.
(٣٠) المفصل في تاريخ العرب: ٤/٢٢٤.
(٣١) المصدر الفريد لدرب زبيدة من الغوير إلى فيد، عوض بن صالح السرور، السعودية، ١٤٢٩هـ، ص١٩٠.
(٣٢) الردة والفتوح، سيف بن عمر، تحقيق: قاسم السامرائي، الرياض: دار أمية، ١٤١٨هـ، ص٣٠٢.
(٣٣) نفسه، ص٢٠٦.
(٣٤) لباب الآداب، أسامة بن منقذ الكناني الكلبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر: دار الكتب السلفية، ١٤٠٧هـ، ص٩٦.
(٣٥) نفسه، ص٩٨.
(٣٦) صورة الأرض، ابن حوقل، بيروت: مكتبة الحياة، د. ت، ص٤٠.
(٣٧) نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتاب، قدامة بن جعفر، هولندا: مطبعة بريل، ١٨٨٩م، ص١٨٦، و الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م.
(٣٨) المسالك والممالك، لابن خرداذبُه، مصوّرة عن طبعة بريل، بغداد: مكتبة المثنى.
(٣٩) صورة الأرض، ص٤٠.
(٤٠) تاج العروس، (فيد).
(٤١) المفصل في تاريخ العرب: ٤/٢٢٥.
(٤٢) نفسه: ٧/٣٣٧.
(٤٣) معجم البلدان: ٤/٢٨٢.
(٤٤) المصدر الفريد، ص٢٤٨ وما بعدها.
(٤٥) نفسه، ص٢٤٧.
(٤٦) رحلة ابن جبير الكناني الأندلسي، بغداد: المكتبة العربية، ١٣٥٦هـ، ص١٦٢.
(٤٧) مدينة فيد، ص٨٠.
(٤٨) أمراء الموسم (الحج) من أول الإسلام إلى سنة ست عشرة وثلاثمئة، هزاع بن عيد الشمري، الرياض، ١٤٣٢هـ، ص٨٨.
(٤٩) نفسه، ص٩٠.

فيد اليوم

تُعدُّ فيد بوضعها الحالي بلدةً نموذجيةً مرتبةً، عمرانها حديث، وشوارعها مرصوفة مسفلتة، وسكانها نحو ١٨٠٠ نسمة، جميعهم من الأسلم من شمر، وهي للمسعود منهم، عدا بيت من البليهد، وآخر للمطوع، وثلاثة بيوت للعيبات من حرب. وتنقسم إلى ثلاثة أحياء، هي: العين للعباس من المسعود، وفيد، وغُزيزة. وفيها ستّ مدارس: ثلاث للبنين، وثلاث للبنات، وروضة أطفال.

وفيد مركز إمارة حسب التقسيم الإداري الحكومي، وفيها من المكاتب الحكومية وشبه الحكومية الآتية: البلدية، ومركز مخفر للشرطة، ومكتب التربية والتعليم، وينقسم إلى اثنين: الأول للبنين، والآخر للبنات، ومكتب لهيئة السياحة والآثار، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكتب للدعوة والإرشاد، ومكتب الأوقاف، ومكتب توعية الجاليات، وجمعية تحفيظ القرآن الكريم، وجمعية البر الخيرية، ونادٍ رياضي، ولجنة تتبع النادي الأدبي بحائل.

وقد اهتمت الحكومة السعودية بفيد اهتماماً كبيراً من حيث ربطها بطرق معبّدة حديثة بما حولها من بلدات، مثل: الطريق السريع (القصيم- حائل- الجوف- محافظة الشنان، مروراً حتى القرى حول جبل سلمى). كما اهتمت ممثّلةً في الجامعات وهيئة السياحة والآثار بالتنقيب عن الأثر التاريخي المهم لفيد في حقبتها الإسلامية الشهيرة؛ إذ عُدَّت مركزاً رئيساً في جزيرة العرب للحجاج الآتين إلى مكة المكرمة من العراق والمشرق الإسلامي في العصور الإسلامية إبّان الخلافة الإسلامية العباسية؛ ففي نشرة صادرة عن هيئة السياحة والآثار السعودية: «إن أطلالاً لقصر مشيد من حجر البازلت، يسمى محلياً قصر خراش، ذو شكل مستطيل، أبعاده نحو ٢٤٠×٢٧٠م، يضم فناؤه في ركنه الشمالي الشرقي قلعة مربعة الشكل، طول ضلعها ٤٠ متراً، وإلى الشمال من

(٥٠) نفسه، ص٩١.
(٥١) نفسه، ص٩٢.
(٥٢) نفسه، ص٩٣.
(٥٣) نفسه، ص٩٤.
(٥٤) نفسه، ص٩٤.
(٥٥) مدينة فيد، ص٦٦.
(٥٦) نفسه، ص٦٧.
(٥٧) أمراء الموسم، ص٩٩.
(٥٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٤هـ: ٢٦١/٤.
(٥٩) أمراء الموسم، ص١٠٣.
(٦٠) مروج الذهب: ٢٦٤/٤ وما بعدها.
(٦١) تاريخ الطبري: ١٣٣/١٠ وما بعدها.
(٦٢) نفسه: ١٣٦/١٠.
(٦٣) أمراء الموسم، ص١٠٥.
(٦٤) نفسه، ص١٠٥.
(٦٥) مدينة فيد، ص٦٨.
(٦٦) نفسه، ص٦١.
(٦٧) نفسه، ص٦٨.
(٦٨) نفسه، ص٧١.
(٦٩) نفسه، ص٧٢.
(٧٠) نفسه، ص١٢٧.
(٧١) المعارف، ص٥٠٧. تاج العروس، (وكع).
(٧٢) مدينة فيد، ص١٣٠.
(٧٣) نفسه، ص١٣٠.
(٧٤) نفسه، ص١٠٦.
(٧٥) الطبري. مدينة فيد، ص١٢٥.
(٧٦) الطبري: ٢٧٦/١.
(٧٧) نفسه: ٢٧٦/١.
(٧٨) المصدر الفريد، ص٢٥٣.
(٧٩) مدينة فيد، ص١٢٧.
(٨٠) نفسه، ص١٢٣.
(٨١) نفسه، ص١٢٩.
(٨٢) التمييز والفصل بين المتّفق في الخط والنقط والشكل، إسماعيل بن باطيش، تحقيق: عبدالحفيظ منصور، ليبيا: الدار العربية للكتاب،

هذا القصر توجد مجموعة من المباني المحددة بما يشبه القاعات والأفنية، وبعض الغرف المترابطة بعضها مع بعض، والذي يقع إلى الجنوب منها ما يعد بمنزلة قلب محطة فيد؛ لما يضمه من كثافة معمارية حيث يضم مبنى مستطيل الشكل، بعداه ٩٠×٤٠ متراً، يوجد في وسط فنائه مبنى آخر مستطيل الشكل. وإلى الجنوب الشرقي لما يُعرف بقصر خراش هناك بركتان غربية وشرقية، الغربية منهما مربعة الشكل، طول ضلعها ٣٦,٥ متراً، تضم في داخلها حوضاً مستطيل الشكل، أما البركة الشرقية فهي مستطيلة الشكل بعداها ٢٠×٣٠ متراً، (و) ترتبط بالبركة الغربية عبر قناة بطول نحو ٤٢ متراً، وعرض ٤٣سم. كما تمّ مؤخراً، وذلك إلى الشمال من القصر، اكتشاف بركة ثالثة لم يسبق التطرّق إليها من قبل جميع مَن كتب عن فيد (حسب النشرة) ذات شكل مثمن تتّصل بقناة قادمة من القصر؛ مما يرجّح أن هذه البركة كانت تمثّل بركة القصر الخاصة، بالإضافة إلى الكشف عن جانب من سور القصر الجنوبي وترميمه وتقويته، وكذلك بعض الأفران والوحدات المعمارية».

وفي صالة العرض الخاصة بالآثار بفيد كذلك توجد قطع فخارية وحليّ ورسوم كتابات إسلامية وما مضى قبلها من عصر، ولا تزال الاكتشافات والحفريات جارية بفيد.

ومن رجالات فيد في العصر الماضي القريب المشهورين بالكرم والجود -مع أن الأسلم يُلقّبون عند قبائل شمر بأهل اللحيسة لكرمهم- كان: مهنا آل مهنا من المسعود، راعي غزيزة، وهي بئر، وقد نزل عندها رجل من الجربان آتياً من العراق يريد الحج، ومعه ركبان من الحجاج، فشبوا نيرانهم، فسأل مهنا عن الركب، فقالوا له: إنهم حجيج، فذهب إليهم، وقال لهم: كيف تشبون نيرانكم وأنتم بفيد جوار مهنا؟! فأطفأها، فقال الجرباء: الله ينعم على ابن مهنا، يطلع الماء بجراب ويزرع ويكرم ضيوفه.

١٩٨٣م: ١/٢٧٦.

(٨٣) نفسه: ١/٢٧٦.

(٨٤) نفسه: ١/٢٧٦.

(٨٥) مدينة فيد، ص١٢٠.

(٨٦) نفسه، ص١٢٨.

(٨٧) نفسه، ص١٢٩.

(٨٨) نفسه، ص١٢٨.

(٨٩) نفسه، ص١٢٨.

(٩٠) نفسه، ص١٢٨.

(٩١) نفسه، ص١٢٨.

(٩٢) المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وزميله، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م، ص٣٧.

(٩٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٤هـ، ص٤٨، وصفة جزيرة العرب، الحسن الهمداني، تحقيق: محمد علي الأكوع، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ، ص٣٨٩، ولسان العرب، (فيد).

(٩٤) العقد الفريد، ابن عبد ربّه، تحقيق: سعيد العريان، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٢هـ: ٦/١٧٥.

(٩٥) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، وشرح المعلقات السبع، الحسين الزوزني، مصر، ١٣٩٠هـ، ص٧٧، وصفة جزيرة العرب: ص٣٨٧. لسان العرب، (فيد).

(٩٦) شعر زيد الخيل الطائي، صنعة: أحمد البزرة، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٨هـ، ص١٠١.

(٩٧) ديوان الشماخ الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، مصر: دار المعارف، ١٩٧٧م، ص١٣٩.

(٩٨) ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن، دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، ١٣٨٨هـ، ص٢٩٠.

(٩٩) مدينة فيد، ص٤٧.

(١٠٠) الإبانة في اللغة، سلمة العوبثي، تحقيق: عبدالكريم خليفة وزملائه، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٢٠هـ، وتهذيب إصلاح المنطق، التبريزي، تحقيق: فوزي مسعود، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م: ٢/٥٥. تاج العروس، (فيد).

(١٠١) المصدر الفريد، ص٢٥٥.

(١٠٢) صفة جزيرة العرب، ص٣٨٠.

(١٠٣) المصدر الفريد، ص٢٥٥.

(١٠٤) تاج العروس، (فيد).

(١٠٥) معجم الشعراء، المرزباني، تهذيب: سالم الكرنكوي، مكتبة القدسي، مصوّر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ص٢٦٩.

حيدر الغدير

الرياض – السعودية

لقاء

رأيت استطلاعاً واسعاً عن (دير الزور) في صحيفة الشرق الأوسط يوم الأربعاء ١٠ صفر ١٤٢٨هـ/ ٢٨ فبراير ٢٠٠٧م، فتذكّرت وتخيّلت وتمنّيت.

تخيّلتُ والظنُّ حقٌّ ومَينْ ... بأني أسير على الشاطئينْ

أرى النهر يرنو فأرنو له ... ودمعي ينهل في الوجنتينْ

ويصفو فأبصر أمواجه ... كمزن السماء وذوب اللجينْ

أرى حوليَ الصحب والأقربين ... ميامين نالوا العلا باليدينْ

تلألأ فيهم خصال الجلال ... تجمّعن من كلّ فضل وزينْ

ولا تسألنّي فهم عاصم ... وغزوان يحمل لي وردتينْ

وأروى وغفران والطيباتكرائم ... حزن شذا النبعتينْ

وسرب الأقارب والأصدقاء ... ينادي الذين الذي واللذينْ

فيعبق طيب يعيد الشباب ... وتدعو اللواتي التي واللتينْ

وفيهم وفيهن شوق الحفي ... وطهر البتول وصدق الحسينْ

محاسن هنّ وهم كالمنى ... حساناً تبرّأن من كل شَينْ

لبسن الهدى والندى والعفاف ... ومن مفرق الرأس للأخمصينْ

***

وطاب اللقاء الذي شاقني ... فزال عنائيَ في الغربتينْ

وأبصرت حزني الطويل امّحى ... وأني رجعت فتًى دون أينْ

كأن غيابي على طوله ... بقية برق وإغماض عينْ

وما الأربعون التي غبتها ... سوى خفقتين وفي لمحتينْ

***

توهّمت أني وشطّ الخيالوصلتُ ... الفرات على غيمتينْ

فزرتُ الحويقة والمشرقين ... وجسراً ألفناه والمغربينْ

وداراً درجت على أرضها ... فأهرقت في صحنها دمعتينْ

تذكّرت أني عليها مشيت ... وقبلي وبعدي مشوا أو مشينْ

فناجيتها في صمات بليغ ... وهذي لساعات عمر بقينْ

***

وزرتُ القبور وأهلًا بها ... أداءً لحقٍّ ورداً لدَينْ

قصيدة

فـلـي إخــوة طـيّـبـوا تـربـهـا ومـن حولهم مرقد الـوالـديـنْ
رأيـــت وفــائــي لــهــم واجــبــاً وبــري وأدعـيـتـي فـرض عـيـنْ
هششتُ وهشُّوا فطاب اللقاء وأحـسـسـتُ أنـي فـي نُعميينْ
وقالت لي الأرض في صمتها: غـداً سـوف تـأتي ففيم وأيـنْ؟
وإنـــــيَ ظــئــرٌ لـكـم مـرة وإنـــي أمّ لــكـم مـرتـيـنْ
فقلتُ: عسى أن يكون اللقاء وقـد نُـلْـتِ يا أمـيَ الحُسنيينْ

***

وزرتُ الـمـسـاجـد أُحْـيـي بها كريم العهود اللواتي انقضينْ
فهشّت فأطلقت تكبيرتين وأهـويـتُ لـلأرض في سجدتينْ
وأشــرق قـلـبـي إشـراقـتـيـن وصـلـيـتُ فـي لـهـفـة ركعتينْ

***

ولـي أمـل كـامـتـداد الـضـيـاء تغلغل في الـروح والأصغرينْ
بــأن لـقـائـي الــفــراتَ دنـا لأرشــف مـن مـائـه رشـفـتـيـنْ
وأصــطــاد نـشـوان أسـمـاكـه صباحاً وعصراً وفي العتمتينْ
ويسمع شعري فيحنو عليَّ حـنـوّ الـفـواطـم لـمـا وفـيـنْ
وأطـبـع فـي وجـهـه قُـبـلـةً فـيـسخو ويـمنحني قبلتينْ
وأسـمـع مـنـه الـخـريـر الـذي يغني كعينين نـضّاختينْ
فإن قلتُ زدني تعالى العزيف لأظـفـر مـنـه بـأنـشـودتـيـنْ

***

سـلام عـلى ديـرتـي والـصحاب وأهـلـي ومـن عـمّـر العدوتيـنْ
ونـهـر الـفـرات الـذي شاقني ومـن سار فيه على الضفتينْ
هـمـا ضـفـتـان فـإن جـئـتـهـا أغـنـي القوافي غـدت جنّتينْ
وألـــف اعــتــذار إذا قـصّـرتْ قوافيّ؛ فالشعر صعب وهينْ

***

سـلام عـلـى مـسـرح الـذكـريات ومـن سار فيه ولـو خطوتينْ
ومـن أحـسـنـوا أو أسـاؤوا إلـيَّ ومـن قـد أسـأتُ لـهـم مـرتـيـنْ
ومـن ظـلّ حـيـاً يـرجّـي الـلـقـاء ومـن ضـمّـه القبر في بردتينْ
وفـي الـتـرب أو فـوقـه موعـد عـسـاه مـفـازاً وقـــرة عـيـنْ
وعـــذري يـسـابـق شـكـري لهم وفـيـهـم فضائلهم ما ونـيـنْ
فـإن كـان عـفـو فـهـم أهـلـه وإلا رجـعـتُ بـخـفّـي حـنـيـنْ

***

أمــانٍ تـوهّـج فـيـهـا الـخـيـال أراهـــن يُـومـئـن لـي أن أتـيـنْ
وقـد يـجـعـل الـدهـر أحـلامـنـا حقائق في الـكـفّ والمُقلتينْ

عزيز نصار
اللاذقية – سورية

حكاية شرقية

كلما حبلت امرأته وضع يده على قلبه داعياً الله أن يجيء بالفرج، ويرزقه بطفل ذكر. وفي كل مرة يأتي القدر ليدوس الرجاء، ويعود إلى الدعاء؛ ليطلّ الولد الذكر المُسعد والمنقذ والمنعم، لكن ميعاد الولادة الفاجع يغتاله من جديد، وتجيء أنثى أخرى، وخيبة أخرى. يوشك أن يسقط مغشياً عليه، يهجر امرأته في الفراش، يعود ليطويها بذراعيه ويلتصق بها، ويتكوّر بطنها، وتضع أنثى من جديد. ستّ بنات بلا أخ، مصيبة لا يطيق تحملها، وقبل أن يحين موعد الولادة يأبى أن يصوّر الجنين لمعرفة جنسه؛ خوفاً من استعجال الدمع والهزيمة.

ينتظر الرجل باستسلام القدر. قالت أمه:

– امرأتك يا بني لا تلد ذكوراً، تزوّج غيرها؛ فالنساء كثيرات.

يردّ عليها بصوت حزين:

– لا ذنب لها في إنجاب الإناث.

تقول الأم:

– انظرْ فلاناً، لقد تزوّج على امرأته، فولدت قطيعاً من الأولاد.

يقول لها:

– وفلان تزوج ثانيةً، فأنجبت الأولى ذكوراً، والأخرى إناثاً.

تقول الأم:

– خُذْها إلى المزارات المقدسة ولو في آخر الدنيا.

تهزّ رأسها، وتندب حظ ابنها. أبوه يتمنى أن يرى حفيداً له يحمل اسم الأسرة، ويقول:

– خذْ زوجتك إلى أفضل الأطباء.

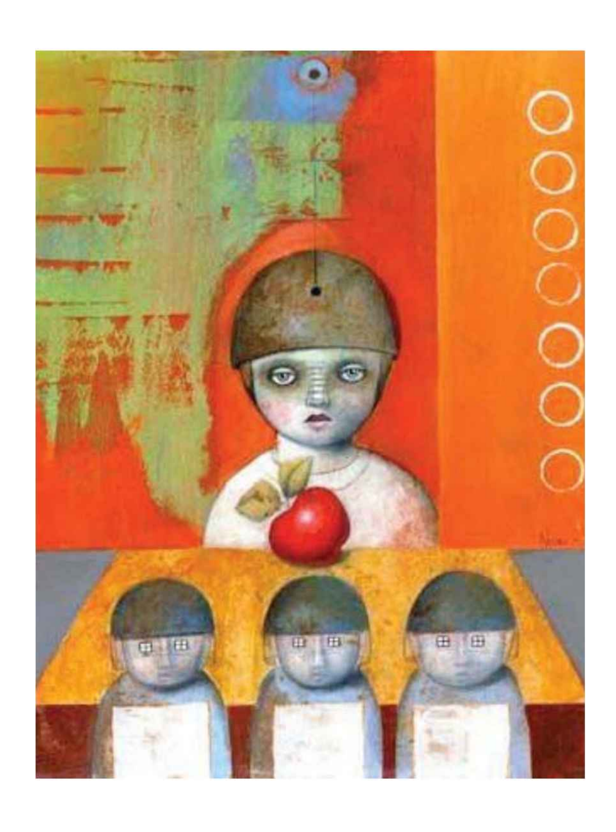
يسأل الآخرون:

– متى يطلّ الصبي؟ متى نفرح بمجيء ابنك؟ متى ....؟

يحسّ بالانقباض والقهر، تتلوّى زوجته بعد الألم، تقدّم ثمرة حملها، وتلد بنتاً جديدة. تتغير ملامحه، ويزداد حزناً، يبدو أمام أهله وجيرانه وزملائه آسفاً منكسر الظهر، وهكذا تمضي الأيام.

وفي هذا الصباح يذهب إلى عمله كعادته، يتلقّى هاتفاً قبل انتهاء الدوام بأن المخاض جاء زوجته ونقلوها إلى المستشفى.

أما المفاجأة المذهلة الرائعة، فهي مجيء الولد الذكر، إنه سيسعده وينقذه، سيتباهى به، إنه نعمة السماء. يدقّ قلبه سروراً ونشوةً، وأخيراً يبزغ الأمل الساطع، سيضم بعد قليل زوجته إلى صدره، ويحمل ولده الجميل. انتصر الرجل، سيقبّل ابنه، ويكسو النصر والفخر وجهه، ويشتاق إلى رؤية المولود الذكر الذي أبصر النور. يغادر مقرّ عمله مهرولاً، يتوقف أمام محلّ ليشتري علب الحلوى، سيوزّعها على جميع من يراهم في المستشفى. يجد سيارة أجرة، يهرع إليها، يفقد توازنه، يقع على رأسه، تدوّي صرخة ألم تضيع في صخب الشارع، يضحك القدر، ويبكي القدر.



قصة



جائزة الملك فيصل العالمية.. تكريم للعلم والعلماء

أصبحت جائزة الملك فيصل العالمية موسماً للاحتفاء بالمتميزين في العالم في مجالات خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها والطب والعلوم. واستطاعت الجائزة خلال مسيرتها الممتدة تأكيد موضوعيتها، وانحيازها إلى التميز، ورؤيتها الإنسانية؛ وهذا ما بوأها مكانةً عالميةً، واحتراماً كبيراً في الأوساط العلمية. ورعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لهذه الجائزة دلالة على اهتمام القيادة الرشيدة برعاية العلم، وتقدير عطاء العلماء.

إعداد وحوار: حسين حسن حسين
هيئة التحرير

ولي العهد يرعى حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية



الأمير خالد الفيصل: أمنية الملك فيصل بن عبدالعزيز أصبحت مشروعاً للملك عبدالله

رحّب صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز -ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع- بالفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لدى رعايته حفل توزيع الجائزة نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله، وتمنى لهم طيب الإقامة، مهنئاً إياهم بنيل الجائزة، مؤكداً أن المملكة العربية السعودية ترحّب بأهل العلم والفكر والرأي، وقال: «الحمد لله، توجيهات ملكنا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود أن تكون بلادنا للجميع بلاد الإسلام والعرب، والمسلم دائماً يؤمن بأنبياء الله ورسله عليهم السلام: موسى، وعيسى، ومحمد، وهناك نصوص قرآنية موجودة للتأكيد على ذلك»، وأضاف: «هذه المناسبة فرصة للالتقاء، وتعزيز العلاقات مع كل دول العالم».

وأكد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز -أمير منطقة مكة المكرمة، رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية- أن مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز أن تكون المملكة مصدر إشعاع للإنسانية، مؤكداً أن هذه الجائزة ليست إلا بصيصاً من ذاك الإشعاع، وقال سموه في كلمته التي ألقاها في حفل منح جائزة الملك فيصل العالمية في دورتها الخامسة والثلاثين بمدينة الرياض: «صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز راعي الحفل نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين، أصحاب السمو والمعالي، حضرات الفائزين بالجائزة، الإخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أن تكون المملكة العربية السعودية مصدر إشعاع للإنسانية أمنية كانت للملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وأن تكون المملكة العربية السعودية مصدر إشعاع للإنسانية مشروع أصبح للملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله، وما هذه الجائزة إلا بصيص من ذاك الإشعاع، ولا أبلغ من حضور العلم وأهله هذا الاجتماع. وما قيمة الحياة بدون عطاء، وما قيمة العطاء بدون تقدير وتكريم ووفاء. أيها الضيوف الكرام، يا من لكم في العلم مقام، مرحباً بكم في رياض العرب، مرحباً بكم في مهوى أفئدة المسلمين، مرحباً بكم في منطلق الحوار الوطني والمذهبي وحوار أتباع الأديان، ومرحباً بكم في حضرة باني الرياض ومطوّرها آنفاً وولي العهد المظفر الآن، والسلام عليكم».

وأعلن الدكتور عبدالله الصالح العثيمين -الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية- أسماء الفائزين في فروع الجائزة، مقدّماً نبذةً من جهودهم وأنشطتهم وما أسهم في نيلهم الجائزة. وتفضل سمو ولي العهد بتسليم الفائزين جوائزهم. منحت الجائزة في خدمة الإسلام للشيخ رائد صلاح محاجنة، ومنحت الجائزة للغة العربية والأدب لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتسلّمها رئيس المجمع الدكتور حسن الشافعي، ومنحت الجائزة للطب مناصفةً للبروفيسور جيفري مايكل فريدمان والبروفيسور دوجلاس ليونارد كولمان، ومنحت الجائزة للعلوم للبروفيسور بول كوركم والبروفيسور فيرنس كراوس.

أول من كشف نفق الأقصى



الشيخ رائد صلاح من مواليد دولة فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، وهو رئيس المجلس الأعلى للدعوة، ورئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني، ورئيس مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية. ومن مسوّغات نيله الجائزة أنه من أبرز الشخصيات المؤسسة للحركة الإسلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، ووضوح جهوده الإصلاحية والاجتماعية عند ترؤسه الحركة الإسلامية بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١م، وتقلّده مهمة رئيس مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، ومهمة رئيس مؤسسة الإغاثة الإنسانية في فلسطين المحتلة، وكان من المبادرين لإعمار كثير من المشروعات في المسجد الأقصى بالتعاون مع إدارة الأوقاف الإسلامية في القدس ولجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، وهو أول من كشف النقاب عن النفق الذي عمله المحتلون تحت الأقصى، ونجح -مع لجنة الروحة الشعبية- عام ١٩٩٨م في منع مصادرة أراضي تلك البلدة، فقدم بذلك خدمةً لأبناء وطنه، كما ينظّم مهرجانات تحت شعار (الأقصى في خطر)، تستقطب آلافاً من الفلسطينيين في الداخل، وتسهم في رفع معنويات مواطنيه.

تبرع لسورية والقدس

أعلن الشيخ رائد صلاح محاجنة -الفائز بجائزة خدمة الإسلام- في كلمته التي ألقاها خلال الحفل تبرّعه بقيمة نصف جائزته إلى أطفال سورية، والنصف الآخر لبدء تأسيس وقف إسلامي عالمي لنصرة القدس والمسجد الأقصى المبارك. وقال محاجنة في كلمته: إن الملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- تعلّق قلبه بالقدس، إلى جانب تعلّقه بمكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فقد كان يتمنى أن يصلي في المسجد الأقصى المبارك حراً كريماً؛ إذ قال: «إن القدس الشريف يناديكم ويستغيث بكم لتنقذوه من محنته وما ابتلي به، فإلى متى ننتظر ومقدساتنا وحرماتنا تنتهك بأبشع الصور». وأوضح أن جميع ما قدمه من خدمات جاءت من أجل الإنسان الفلسطيني التزاماً بما يمليه عليه واجبه الوطني، ونوّه بالجائزة وأهميتها قائلاً: الجائزة لها قيمتها الفريدة، كيف لا وهي التي نبعت من هذه الأرض المباركة أرض الحرمين إلى أرض بيت المقدس، وهي بذلك تجسد أبدية التوأمة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى المبارك كما صدح بها القرآن الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ (الإسراء: ١)، وهذا يعني أن مصير المسجد الحرام والمسجد الأقصى سواء، وأن حاضرهما ومستقبلهما سواء؛ مما يعني أن المسجد الحرام كما لا يقبل الاحتلال فإن المسجد الأقصى لا يقبل الاحتلال.

وأضاف محاجنة: منّ الله علينا بعمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي بناءً على الدور الكبير من القيادة السعودية، وأسأل الله أن يمنّ علينا بعمارة المسجد الأقصى، ولن يفرح المسجد الأقصى بعمارته إلا بعد زوال الاحتلال الإسرائيلي عنه بإذن الله.

مجمع القاهرة وجهود متميزة

نـال مجمع اللغة العربيـة بالقاهرة بجمهورية مصـر العربية جائـزة الملـك فيصـل العالمية للغـة العربيـة والأدب؛ تقديراً لإسـهاماته العلميـة المتنوعـة في خدمـة اللغـة العربيـة، وبخاصـة إصـداره مجموعـة كبـيرة مـن المعجمـات اللغوية العامـة والمتخصصـة طـوال مسـيرته الممتدة منـذ أكثر من ٨٠ عامـاً؛ إذ دأب المجمـع في إعدادهـا مسـتعيناً بخـبرات علميـة متنوعـة. وتميّـزت معجماتـه بتنوعهـا واسـتجابتها لحاجـات مسـتخدمي اللغة العربيـة، رابطةً حاضـر العربية بماضـيها، ومسـتفيدةً مما جدّ مـن مناهج علميـة حديثة في مجال صـناعة المعجم.

لغة شريفة بلغت أوج نضجها

قال الشيخ الدكتور حسن محمود الشافعي رئيس مجمع اللغة العربية في كلمته: في هذه الأرض المقدسة وُلدت اللغة العربية، تلك اللغة الشريفة التي اختار الله تعالى مهدها الأول في مركز العالم من شبه الجزيرة العربية وحول أول بيت وضع للناس، ثم انزاحت العربية في صباها الباكر شمالاً إلى الشام، وغرباً لتجتاز مشارق إفريقية، فتترك هنا وهناك بنيات سامية، أو تمارس وجوداً جزئياً مستمراً كما هو الحال في مصر. لقد بلغت العربية أوج نضجها، وتمام رشدها، بإنزال القرآن الكريم على قلب النبي الخاتم المبين، وحمل المصريون اللغة العربية واحتفوا بها، وشهادة الخبراء والتاريخ والعلم المصري لخير دليل على تماسك مصر ونخبها وحفاظها على هذه اللغة السامية.



أبحاث رائدة في الفيزياء

منحت جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم لسنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، وموضوعها (الفيزياء) مناصفةً لكل من: الأستاذ الدكتور بول كوركم من كندا - رئيس بحوث فوتونيات الأتوثانية في جامعة أوتاوا، والمدير العام لعلوم الأتوثانية في معهد ستيسي لعلم الجزيئات، ومجلس البحث الوطني في كندا - والأستاذ الدكتور فيرينك كروز من المجر/ النمسا - الأستاذ في جامعة لودفيك ماكسميليانز في ميونيخ، ومدير معمل فيزياء الأتوثانية في معهد ماكس بلانك للبصريات الكمية في جارشينج بألمانيا - وتميّز الفائزان بالجائزة بأبحاثهما المستقلة والرائدة التي جعلت من الممكن الحصول على تصوير الحركة السريعة

أهم كشف في أبحاث البدانة

منحت جائزة الملك فيصل العالمية للطب في موضوع (العوامل الوراثية للبدانة) هذا العام (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) مناصفةً لكلّ من: الأستاذ الدكتور دوجلاس ليونارد كولمان من الولايات المتحدة الأمريكية- كندا، الأستاذ في مختبر جاكسون في بار هاربر مين، والأستاذ الدكتور جيفري مايكل فريدمان من الولايات المتحدة الأمريكية، الأستاذ في جامعة روكفيلر، والباحث في معهد هوارد هيوقز، ومدير مركز ستار للجينات بنيويورك. وتركزت أبحاث الفائزين بشكل رئيس في العمليات العصبية التي تنظّم الشهية وكمية الأكل والطاقة التي يحتاج إليها الجسم، وتمكّنا من اكتشاف هرمون لِبْتِن الذي يرسل إشارات إلى الدماغ تُقلّل الشهية، ويعدّ هذا الكشف هو الأهم في مجال أبحاث البدانة على مدى ثلاثة عقود مضت، كما أنه مثال يُقتدى للتقارب والتفاعل بين كثير من التخصصات في مجال أبحاث الجينات والكيمياء الحيوية وعلم الخلية.



للإلكترونات في داخل الذرّات والجزيئات في مددٍ زمنية متناهية في الصغر في حدود الأتوثانية. ولتقريب مفهوم وحدة الأتوثانية الزمنية فإن نسبتها إلى زمن الثانية المعروفة كنسبة الثانية إلى زمن عمر الكون نحو ١٤ بليون عام، وعندما يتم تشعيع ضوء الليزر المكثّف العالي التردّد على غاز تنتج منه حزمة من الأشعة فوق البنفسجية ذات ترددات في مدى الأتوثانية.

وكان البروفيسور كوركم الرائد الأول في تفسير هذه الظاهرة من خلال نموذج مبسط، واستطاع تسخيرها في دراسات رائدة للتصادمات الفيزيائية والبلازما وعلم الجزيئات، كما استطاع أن يحصل على صور طبقية لحركة الإلكترونات داخل الجزيئات.

أما البروفيسور كروز فاهتم بتطوير وسائل فعالة لتوليد أمواج ليزر مكثفة يتم التحكم فيها وتكييفها حسب الحاجة، كما استخدم هذه الوسائل للمراقبة في حركة الإلكترونات والتحكم في مجالٍ زمني متناهي الصغر، وقد تمكّنت مجموعته البحثية أول مرة من إنتاج ترددات أحادية فوق بنفسجية في مجالات زمنية في حدود ٨٠ أتوثانية.

وثمّن الفائزون جهود القائمين على الجائزة، معبّرين عن الاعتزاز والفخر بنيلهم الجائزة، مشيدين بأثرها في تشجيع المختصين والباحثين من العلماء والمبدعين والمؤسسات العلمية والتطبيقية، وتقدير إنجازاتهم.



الشيخ رائد صلاح:
جائزة الملك فيصل تكريم للقدس

عندما كان الشيخ رائد صلاح يقدم محاضرته في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بعنوان: (القدس والدور المطلوب)، مساء الأحد ٣١ مارس ٢٠١٣م، كنت منشغلاً بذلك التدافع الذي قلّما تشهده المحاضرات القيمة في هذا الزمان، وقد أتاح لي الزحام فرصة أن أتابع المحاضرة واقفاً بعد أن حرص المنظّمون على عدم حرمان كلّ من سعى إليها من متابعتها.

كان الوقوف فرصةً؛ لأنه هيّأ لي أن أتصفح الوجوه المتابعة للمحاضرة من كلّ الجوانب؛ فالانتباه سيد الموقف، وتباين السحن طابع الحضور، فكانت الأمة كلها ممثّلةً، وإن كان الفلسطينيون قد حرصوا على الحضور مع أطفالهم في مشهد مؤثّر، وكان الأطفال كباراً وهم يتفاعلون مع حديث المحاضر، ويعبّرون بالتصفيق عن حماستهم وإدراكهم ما يقوله، وكان الشيخ في حديثه المدعوم بالوثائق والصور بسيطاً في تعبيره، عميقاً في تأثيره؛ لأنه تحدّث بصدق، وعن معايشة يومية.

كان الأمل أن يكون الحديث معه شاملاً، ومغطّياً نقاط اهتمامه، وهي كثيرة، وتتركّز في قضيتي القدس والمسجد الأقصى، وهما تتّصلان بحال الأمة، ومجريات السياسة في المنطقة، التي تؤثّر في الوضع العالمي وسياسات ما يُعرف بالمجتمع الدولي، لكن كان كثير من وسائل الإعلام لديه الرغبة ذاتها، فكان لا بد من الرضا بما أتيح لي من وقت حاولت خلاله ملامسة القضايا في عناوين رئيسة، فكان هذا الحوار.

مع المحرر



*** ماذا تعني لكم هذه الجائزة؟ وماذا تركت هذه الاحتفالية، واحتشاد الناس للاحتفاء بكم، في نفسك؟**

- أولاً، ما من شكّ في أن نيل هذه الجائزة هو طموح يراود كثيرين في العالم؛ لأنها باتت جائزةً ساميةً ذات رسالة عالمية، تبدأ من خدمة الإسلام، وتنتهي بخدمة الإنسانية، وهذا البعد مهم جداً بالنسبة إليّ أنا شخصياً. حقيقةً، فرحت جداً، وفرحي لم يكن بدافع شخصي، بل فرحت لأن الحصول على هذه الجائزة يعني أولاً أن قضية فلسطين والقدس والمسجد الأقصى التي كانت من أهم دوافع هذه الجائزة لا تزال -بإذن الله رب العالمين- قضيةً إسلاميةً عربيةً لم تغبْ عن القائمين على جائزة الملك فيصل العالمية، وهذا مهم جداً؛ لأنه يعني أن القدس ليست وحيدةً، وهذا يعني أن المسجد الأقصى ليس وحيداً، وهذا يعني أن الاحتلال الإسرائيلي لن ينجح في يوم من الأيام في الانفراد بالقدس من أجل تهويدها، طامعاً في أن يبني هيكلاً باطلاً مكان المسجد الأقصى المبارك؛ لذلك حقيقةً شعرت أن هذه الجائزة هي جائزة للقدس قبل أن تكون لي أنا شخصياً، وصداها - والحمد لله رب العالمين- كان صدًى عالمياً، ولا أبالغ في ذلك، بل إن هناك شواهد على هذا؛ فلا يخفى أنني في عام ٢٠١١م دخلت ظلماً السجون البريطانية بناءً على تهم باطلة تتعلّق بدوري بالقدس والمسجد الأقصى المبارك، والآن بعد أن نلت جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام هناك بعض الأقلام البريطانية ورجال الإعلام الذين كتبوا يوجّهون انتقاداً شديداً إلى مسؤولي وزارة الداخلية البريطانية، ولسان حالهم يقول: إن الأسباب التي جعلتكم تضعون هذا الرجل في السجن هي نفسها الأسباب التي جعلته يحصل على جائزة الملك فيصل العالمية، فكيف تفسّرون ذلك؟!؛ فهذا الموضوع يدلّ على الصدى العالمي لهذه الجائزة؛ لذلك كله فإن جائزة الملك فيصل كانت

مفرحةً لي جداً، وازداد فرحي أكثر فأكثر في يوم الاحتفال؛ إذ وجدت نفسي ليس مع أهل القدس فحسب، بل مع العالم العربي كله، بل وجدت نفسي مع كلّ الأمة الإسلامية، والكلّ يهتف بحقنا في القدس والمسجد الأقصى المبارك، وعندما صفّق الجميع عند الإعلان عن هذه الجائزة شعرتُ أن هذا تجديد للعهد بأننا مع القدس والمسجد الأقصى، وأننا لن نتخلّى عنهما، والحقيقة أن هذه المعاني هي ما يطمع إليه كل إنسان مسلم غيور على مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد أكّد لي التدافع يوم محاضرتي في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أن حقّ العودة لم يمُتْ في داخل أيّ فلسطيني من الكبار أو الصغار، وما أفرحني أكثر فأكثر هو تدافع الأطفال الذين كانوا في هذا اللقاء؛ فهذا التدافع يؤكّد أنه مهما طال الزمن سيصرّون على العودة إلى الأرض والبيت والمقدسات التي خرجوا منها بقوة مشروع السلاح الصهيوني.

حقيقةً ما رأيته من ذلك التدافع ذكّرني جملةً سمعتها من أطفال في أوربا عندما كان هناك مؤتمر فلسطينيي أوربا، سألت أولئك الأطفال: ماذا تقولون عن أوربا؟ قالوا: «أوربا جميلة، لكن شجرة زيتون في فلسطين أجمل من أوربا كلها». هذه القناعات التي تنمو مع الأطفال تؤكد أن المستقبل لنا إن شاء الله.

*** لفت الانتباه بتبرّعك بنصف الجائزة لأطفال سورية، وكان بعض الناس يستغربون هذه اللفتة من منطلق أن أطفال فلسطين يعيشون المعاناة أيضاً، ألم يكونوا أولى بهذا التبرّع؟ هل من دوافع معينة لإقدامكم على هذه الخطوة؟**

- الحقيقة يا أخي الكريم، ووالله ما أقولها مجاملةً، بل أقولها بقناعة مطلقة: إن قضية فلسطين وهمّ فلسطين هما جزء من قضية سورية وهمّ سورية، وأطفال غزة هم جزء من أطفال سورية، همّ الأم الثكلى في الخليل هو جزء من همّ الأم الثكلى في دمشق، نحن أمة الجسد الواحد، نحن أمة الألم الواحد. أنا

> **الربيع العربي مصدر تفاؤل، وأنا على يقين بأن هذا الربيع سينتهي بربيع في القدس والمسجد الأقصى**

اشتقنا إلى تحقيق أمنية الملك فيصل

شكر الشيخ رائد صلاح مؤسسة الملك فيصل الخيرية على منحها إياه جائزة خدمة الإسلام، وقال: «أُكرمنا بهذه الجائزة، ونسأل الله أن نؤدي حقها. وإذا كان الملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- كان يودّ الصلاة في المسجد الأقصى قبل استشهاده فإننا نقول للاحتلال الإسرائيلي: لقد طال ظلمك، وقد اشتقنا أن نصلّي في المسجد الأقصى».





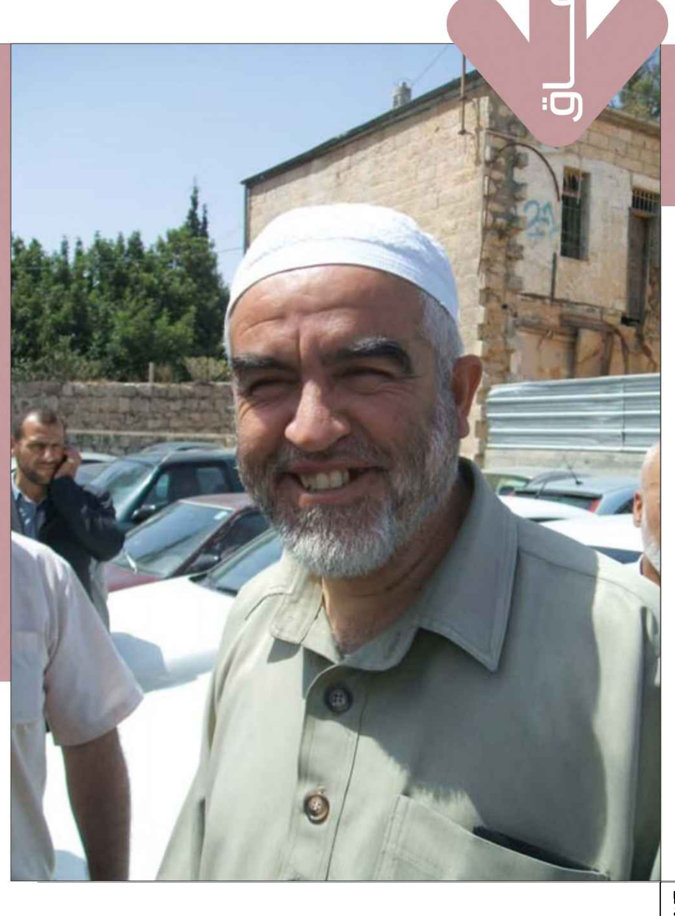
أكد لي التدافع في يوم محاضرتي بمركز الملك فيصل أن حق العودة لم يمت في داخل أي فلسطيني من الكبار أو الصغار

عندما تبرّعت بنصف هذه الجائزة إلى أطفال سورية فذلك لأنهم أطفالنا، هم أبناؤنا في نهاية الأمر، هم بيتنا، هم أسرتنا، وأنا على قناعة بأن قضية فلسطين لا يمكن أن تُفصل عن قضية سورية، قناعتي قُلتها ألف مرة، وما زلت أؤكدها الآن وغداً إن شاء الله، وهي أن حرية دمشق هي ضرورة لحرية القدس، وحرية الجامع الأموي ضرورة لحرية المسجد الأقصى المبارك؛ فنحن عندما نناصر أطفال سورية نناصر أنفسنا، كما نناصر القدس، ونناصر المسجد الأقصى المبارك. قضية القدس والمسجد الأقصى أليست هي قضية الامتداد العربي، وهذا الامتداد الإسلامي؟! وأطفال سورية أليسوا جزءاً من الامتداد العربي؟! والشعب السوري أليس هو جزءاً من الامتداد العربي الإسلامي؟!. لذلك أنا كنت على قناعة بأن هذا الموقف الذي تمثّله الثورة السورية لا يعود بالأثر الطيب على الحدود الجغرافية السورية، بل هو سيعود بالنفع على القدس والمسجد الأقصى المبارك إن شاء الله تعالى.

*** على الرغم من وجود عدو مشترك، وهم مقيم في فلسطين، نرى الانقسام الفلسطيني لا تبدو له نهاية، متى في رأيكم سينتهي هذا الانقسام الذي نراه؟**

- دعني أقول لك أكثر من ملاحظة: أولاً، قاعدة المجتمع الفلسطيني ليست منقسمة على نفسها؛ فهناك تماسك فلسطيني، سواء في الحياة الفلسطينية في الضفة أو في قطاع غزة أو في القدس أو في الداخل الفلسطيني ٤٨. ثانياً: هناك انقسام فلسطيني مؤلم، نعم أنا أوافقك، لكن هناك أيضاً وحدة موقف فلسطيني بعيد من أيّ انقسام حول قضية القدس والمسجد الأقصى المبارك.

أنا أعيش هموم القدس بإذن الله تعالى طبعاً، وأحاول أن أؤدي دوري في القدس والمسجد الأقصى، ومن خلال السنوات التي مضت عليّ ما أشعر به هو أن كلّ مكوّنات القدس، وكل الفصائل الفلسطينية في القدس، في موقف واحد للتصدي للاحتلال الإسرائيلي الذي يريد تهويد القدس، وهدم المسجد الأقصى المبارك، وبناء هيكل مكانه. ثم ماذا؟!. أنا -مع كلّ ذلك- أوافقك في أنه يجب أن نتجاوز الخلاف الفلسطيني، أنا أخي الكريم أقول الآتي: الآن هناك ضغوط على الإرادة الفلسطينية، وهذه الضغوط من القوى المعادية التي لا تريد الخير للشعب الفلسطيني. هذه القوى صهيونية صليبية بكلّ أسمائها المعروفة، هذه القوى تقول للإرادة الفلسطينية الآن: إما أن تختاروا استمرار المفاوضات وإما أن تختاروا الوحدة الفلسطينية، إما أن تختاروا استمرار الدعم وإما أن تختاروا الوحدة الفلسطينية، وهذا يعني أن الأصل هو الإرادة الفلسطينية في أماكن وجودها مع الوحدة، لكن يجب تحريرها من هذه الضغوط. وفي نظري أنه هنا يأتي الدور الإسلامي العربي، الذي يقول للإرادة الفلسطينية بصريح العبارة: نحن نرفع عنكم الضغط باسم المفاوضات، نحن نرفع عنكم الضغط باسم المساعدات، نحن كإرادة إسلامية عربية لها القدرة على أن تحقق النتائج المرجوة للقضية الفلسطينية أكثر من المفاوضات، ونحن كإرادة إسلامية عربية من شأننا أن



هذا ما يطمعون فيه

الفلم الذي قام ببطولته داني أيلون -نائب وزير الخارجية الإسرائيلي- لم يأتِ فيه بشيء جديد في مشروع الاحتلال الإسرائيلي، ووجّه رسالةً من وراء هذا الفلم؛ إذ وقف في أحد مشاهد الفلم بجانب قبة الصخرة، ثم استمر الفلم، ووقف أمام قبة الصخرة وقد انهارت، ثم مشهد ثالث وقف فيه وإذ مبنى تخيّلي يظهر، وهو الهيكل الباطل الذي يطمعون فيه. وكشف لنا هذا الفلم أمراً مهماً، وهو أنه لا يزال الطمع في بناء هيكل مكان المسجد الأقصى محلّ إجماع إسرائيلي، وليس كما حاول الإعلام الغربي أن يخدعنا بادّعاء أن من يقومون بالدعوة إلى بناء هيكل مجرّد فئات متطرفة استخفافاً بعقولنا.

نقدم المساعدة للشعب الفلسطيني أكثر ممن سمّت نفسها الدول المانحة. إذا وصلنا إلى هذا الموقف، وإلى هذه المعادلة، فما أسهل وما أسرع أن تتحقق الوحدة الفلسطينية.

*** هل تقصد بالإرادة الإسلامية عملية دعم الموقف الفلسطيني؟**

- تماماً، أولاً: دعم الموقف الفلسطيني دعماً سياسياً، ودعماً إعلامياً، ودعماً دولياً. ثانياً: الدعم المالي من أجل النهوض بالشعب الفلسطيني لبناء حياته. الشعب الفلسطيني إلى الآن لا يزال في نكبة، لا يزال يتلقّى الضربات، ولا تزال قوافل الشهداء، وقوافل المشرّدين، وقوافل سرقة الأرض، وقوافل سرقة البيوت، وقوافل الحصار. لا شكّ أن شعباً في هذه الظروف يريد أن يبني نفسه من الظلم أن نقول له: سنتركك وحدك، ابنِ نفسك وحدك، كيف ذلك؟ هو يريد مؤازرة من امتداده العربي والإسلامي، وكما يُقال: نحن أحقّ بالعدل من كسرى، نحن أحقّ بالعدل كأمة مسلمة وعالم عربي ممن سمّوا أنفسهم بالدول المانحة، التي تدّعي أنها تمنح، لكنها تفرض شروطها على مسيرة الإرادة الفلسطينية، وهنا الخطر، نحن أولى بدعم بناء الشعب الفلسطيني.

*** لكن الإشكالية في العالم الإسلامي أيضاً أنهم انقسموا إلى فريقين: أحدهما مؤيد للحكومة الفلسطينية بقيادة (أبو مازن)، والآخر يؤيد حماس؟**

- إذاً، هذا هو المطلوب، يعني ألا نستغرب أبداً من الشعب الفلسطيني انقسامه، بل نقولها بصراحة: لماذا هذا الانقسام الإسلامي؟! إذاً، نحن نرفض الانقسام الفلسطيني، فلماذا إذاً قبلنا الانقسام الإسلامي؟! ولماذا إذاً قبلنا الانقسام العربي في موضوع القضية الفلسطينية؟!. هذا يعني أنه لابد من السعي إلى عملية الخروج من أيّ انقسام في القضية الفلسطينية، وأنه لابد من الخروج من أيّ انقسام حول مستقبل قضية فلسطين، إن كان على الصعيد الإسلامي، أو على الصعيد العربي، أو على الصعيد الفلسطيني. أنا على يقين أنه بالإمكان -بإذن الله- صياغة موقف وحدوي في البعدين الإسلامي والعربي، بشرط أن يكون متحرّراً من أيّ ضغوط قد تمارسها على الطرف الفلسطيني أطراف صهيونية أو صليبية، إذا تمّت هذه المعادلة

فما أسهل أن تنجح هذه الوحدة الإسلامية العربية بإذن الله تعالى في أن تتجاوز بالمجتمع الفلسطيني والقيادة الفلسطينية ما تعانيه اليوم من انقسامات.

*** ألمس أن لديكم قدراً كبيراً من التفاؤل، فما مصدره على الرغم مما تعايشونه من معاناة؟**

- الحقيقة، هذا التفاؤل ليس من فراغ، بل هو قائم على قراءتي أكثر من أصل من أصول ما يجري الآن في القدس والمسجد الأقصى. أولاً: مصدر تفاؤلي الأساس هو الرؤية القرآنية؛ فالله جل جلاله يقول لنا في القرآن الكريم: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِالۡحَقِّ عَلَى الۡبَاطِلِ فَيَدۡمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: ١٨)، وهذا يعني أنه قد يقوم الباطل، ويكون له وجود، لكنه ليس أبدياً، بل سيقع عليه قانون سنن ربانية موجودة في هذه الآية؛ أي: سيقوم الباطل، لكن سينتهي. كما أقف أيضاً عند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلۡكَ الۡقُرَى أَهۡلَكۡنَاهُمۡ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدًا﴾ (الكهف: ٥٩). إذاً أيضاً الظلم قد يقوم، وقد تكون له قرى؛ بمعنى: ممالك وسيادة ومظاهر قوة اقتصادية وسياسية وإعلامية، لكن هذا لا ينجي من قدر الله، وهو إهلاك الظالمين. وفي تصوّري أننا إذا نظرنا إلى واقع الاحتلال الإسرائيلي نجد أن أكثر صفة باطل في كلّ العالم تقع على الاحتلال الإسرائيلي، الذي يعدُّ أظلم ظالم في العالم الآن من دون استثناء؛ فهو المتفوّق في الظلم في كلّ العالم؛ لذلك هو الأقرب الآن إلى أن يقع عليه قدر الله تعالى وسنن القرآن الكريم، وهي زوال الباطل، وزوال الظلم. هذا أساس يزداد عندي يوماً بعد يوم، خصوصاً إذا أردت أن أذكّر جميع الإخوة والأخوات بأن التفاؤل ليس تفاؤلاً فورياً؛ فأنا متفائل بأن يكون ربيع هذا العام مزهراً وجميلاً، هذا لا يعني أن الربيع سيكون الآن، فوراً بعد تفاؤلي، لا؛ فهناك سنن الله تعالى أودعها في هذا الكون، هناك فصل شتاء، وسيمطر الشتاء، وسيأتي بعده الربيع، ستنبت الأرض وستزهر، إذاً هناك سنن لابد أن نأخذها في الحسبان. الشيء نفسه هنا؛ نحن متفائلون بزوال الظالمين، لكن هناك سنن ربانية، هناك سنن تغيير، هناك سنن تمكين، لابد أن يكون لها بعدها الزمني؛ فالذي لا يأخذ في الحسبان أن التفاؤل بحاجة إلى بعد زمني سيصاب بالإحباط، وأعطي على ذلك مثالاً: الحملات الصليبية كانت مظهراً من مظاهر الظلم والباطل التي شهدها بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومن حيث البعد الزمني تواصل ظلمهم قرابة ١٠٠ عام، هذه الأعوام المئة لم تنجهم من قدر الله سبحانه وتعالى، وهو زوال هذا الباطل، وزوال هذا الظلم. الشيء نفسه بالنسبة إلى الاحتلال الإسرائيلي الذي مضت عليه عقود من الزمان، تزيد على ٦٠ عاماً، لكن هذه المدة الزمنية لن تنجيه من قدر الله سبحانه وتعالى، وهو زوال الباطل وزوال الظلم؛ لذلك أنا أقول: نعم أنا متفائل، وهناك بعد زمني لهذا التفاؤل بإذن الله تعالى. ثم ماذا؟! أنا لا أقول: أنا متفائل بدور عدمي، يعني بدور الوقوف المُشاهد فقط، لا، متفائل مشاهد لا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أنا متفائل عامل، متفائل مقاوم، متفائل أسعى إلى توحيد الأمة الإسلامية والعالم العربي إلى جانب الشعب الفلسطيني

المسجد الأقصى.. المكان المختار لا غير

لا جديد في أطماع الاحتلال الإسرائيلي؛ فهم عبّروا عنها أول ما بدؤوا يتحدثون في أواخر القرن الثامن عشر عن المشروع الصهيوني، وعلى رأسهم بن جوريون، وهو أحد مؤسسي المشروع الصهيوني، الذي قال: لا قيمة لإسرائيل من دون القدس، ولا قيمة للقدس من دون الهيكل. لقد كنتُ أسأل دائماً: المشروع الصهيوني وفق إستراتيجياته الأولى في أواخر القرن الثامن عشر وضع أمامه أنه سيقيم كياناً اسمه إسرائيل، وسيحتلّ القدس بعد ذلك، وسيبني هيكلاً بعد ذلك، وهاهو ذا أقام كياناً اسمه إسرائيل، واحتلّ القدس، فلماذا لم يبنِ الهيكل حتى الآن ونحن في عام ٢٠١٣م؟!.
جوابي أن الاحتلال الإسرائيلي يؤخّره سبب واحد؛ فهو يصرّ على بناء الهيكل في مكان واحد، هو مكان المسجد الأقصى؛ لذلك عندما أسمع الاحتلال الإسرائيلي يدعو إلى التعجيل ببناء هيكل ففي نظري أن معنى ذلك التعجيل بهدم المسجد الأقصى.

لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي، بمعنى: التفاؤل المؤثر والمغيّر، ليس التفاؤل السلبي؛ لذلك نحن نقولها: بإذن الله رب العالمين الآن بدأ مظاهر ما يسمى بالربيع العربي، مع كلّ ما تعاني من هموم ومشكلات وثغرات، هذا طبيعي في كلّ ثورات الدنيا، لم تُولد ثورة في الدنيا وهي ناجحة، أو وُلدت ذات كيان سياسي عالمي، لا؛ فكلّ ثورة عانت، وتعرّقلت، وكان فيها ضعف، ثم كان فيها بناء وقوة وغير ذلك. الشيء نفسه أنا أقوله: إنني على يقين بأن الربيع العربي مصدر آخر من مصادر التفاؤل، أنا على يقين أن الربيع العربي سينتهي بربيع في القدس والمسجد الأقصى بإذن الله رب العالمين، لا أقول غداً، ولا أقول بعد أسابيع، لكن سيكون هذا الشيء بإذن الله تعالى. البعد الزمني علمه عند الله، متى سيكون ذلك؟. ثم ماذا؟ أنا أقول الآتي: لو قرأنا عقلية الاحتلال الإسرائيلي الآن، وقناعات هذا الاحتلال، فسنكتشف أن الاحتلال الإسرائيلي على يقين بأنه احتلال زائل كغيره من كلّ مراحل الاحتلال التي وقعت على القدس والمسجد الأقصى المبارك؛ لذلك نحن نقولها: قضيتنا ليست مربوطة بأعمارنا، قضيتنا مربوطة بحقّ أمتنا المسلمة، وعالمنا العربي، وشعبنا الفلسطيني؛ فنحن قد نموت، لكن القضية لن تموت، نحن قد نموت ولا نرى زوال الاحتلال الإسرائيلي، لكن الموقف الإسلامي العربي الفلسطيني سيرى زوال الاحتلال الإسرائيلي بإذن الله حتماً. نحن جزء من القضية وليس العكس، نحن جزء من التفاؤل وليس العكس؛ ففي تصوّري أن هذه الرؤى هي المطلوبة لكي تغذّينا عندما نقول: القدس إسلامية عربية، والمسجد الأقصى قضية إسلامية عربية. هذه الرؤى يجب أن توجّهنا دائماً، وهي أهم رأسمال في الصراع مع الكيان الصهيوني.



اللعب على المكشوف

بعد التنكّر للحفر تحت المسجد الأقصى أصبح التلفاز الإسرائيلي يصور حفر الأنفاق ويعرضها في القنوات الإسرائيلية، ومن بينها قناة اسمها القناة العاشرة؛ فقد بثّت فلماً عن حفر الأنفاق التي تجري الآن في الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى، وقالت: إن هذه أخطر عملية حفر أنفاق تتم منذ عام ١٩٦٧م حتى الآن؛ لأنها كشفت عن الأسس التي يقوم عليها المسجد الأقصى. وبات الاحتلال الإسرائيلي يكثّف اقتحامات المسجد الأقصى، التي تقوم بها قيادات دينية أو قيادات سياسية، وهم يكرّرون أداء طقوسهم التلمودية في المسجد الأقصى؛ للادّعاء بأن لهم حقاً ثابتاً فيه، وطالب عضو في الكنيست، يسمى إلداد، بسنّ قانون من أجل تقسيم المسجد الأقصى، وهم يطمعون في التقسيم بوصفه هدفاً مرحلياً، ويطمعون بعده ببناء هيكل مكان المسجد الأقصى. وخوفاً من الربيع العربي بدؤوا بالتعجيل، كأنهم يريدون أن يستبقوا الزمن والأحداث، ويفرضوا أمراً واقعاً قبل حدوث تغييرات تحاصر جنون الاحتلال الإسرائيلي.

> لمست في الرياض أن القدس ليست وحيدة، وهذا يعني أن المسجد الأقصى ليس وحيداً، وهذا يعني أن الاحتلال الإسرائيلي لن ينجح في الانفراد بالقدس

*** مادمت قد جئت على الربيع العربي فكيف تلمسون تقويم الكيان الصهيوني لهذا الربيع وتصوره له؟**

- يا أخي الكريم، الموضوع واضح، وهو أن المشروع الصهيوني حاول أن يخدع الشعب اليهودي بقضيتين، قال للشعب اليهودي: تعالَ وانضم إلى المشروع الصهيوني على حساب الشعب الفلسطيني، وسنوفّر لك الأمن الاقتصادي، والأمن الحياتي: الأمن على الأرواح، والاستقرار. والآن، ماذا أحدث الربيع العربي من نتيجة فورية؟ من النتائج الفورية للربيع العربي الآن أن نظرية الأمن الإسرائيلي انهارت.

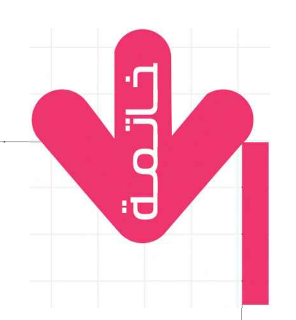
*** كيف؟**

- جميل جداً. انهارت لأن تلك الأنظمة التي ربطت نفسها بعلاقات من التعايش والتعاون مع المشروع الصهيوني زالت بسبب الربيع العربي، والآن بدأت تنمو قيادات هي وليدة إرادة الشعوب العربية في الربيع العربي، هذه القيادات القادمة أو القائمة الآن لا شك أنها بسبب هذه الإرادة هي التي ستمثّل هذه الشعوب، ولن تمثّل الطموح الأسود عند الاحتلال الإسرائيلي الذي يطمع مثلاً في بناء هيكل مكان المسجد الأقصى المبارك. إرادات الشعوب العربية والمسلمة هي جزء من إرادة الشعب الفلسطيني في كلّ قضية فلسطين وقضية القدس والمسجد الأقصى؛ لذلك بدأ الاحتلال الإسرائيلي والمجتمع الإسرائيلي يشعران الآن أن مرحلة تحييد الشعوب انتهت، والآن هو في مواجهة مع الشعوب من تونس حتى سورية، وأصبح في دائرة محاصرة بإرادة شعوب ناهضة الآن، بإرادة شعوب واعية رفضت الظلم، وتجرّأت عليه، هذا ماذا سيكون مردوده؟ سيكون مردوده رفضاً واضحاً للمشروع الصهيوني، والتصدي لهذا المشروع.

*** ماذا عن الدعم العربي والإسلامي، خصوصاً لقضية القدس والمسجد الأقصى؟ وهل هو يتناسب مع حجم هذه القضية؟**

- طبعاً لا يتناسب إطلاقاً، لا يتناسب ولو بنسبة قليلة؛ فللأسف نحن نعلم أن الجمعيات الأمريكية وحدها -على سبيل المثال- تقدّم كل عام ٩٨٠ مليون دولار من أجل أن تساهم في تهويد القدس، وأن مؤسسة روزنتل من كاليفورنيا قدّمت دعماً قدره ٢٠٠ مليون دولار من أجل بناء مركز على حساب تدمير مقبرة مأمن الله الإسلامية القائمة في مدينة القدس، التي دُفن فيها أول ما دُفن جيل الصحابة رضي الله عنهم، وأن ألكسندر مسكوفيتش، وهو رجل أعمال يهودي عالمي، بنى وحده مستوطنةً كاملةً على جبل أبو غنيم، وهو وقف إسلامي، وسُمِّيت هذه المستوطنة باسم (هار حوما)، وهو نفسه الذي أقام كنيساً يهودياً على بعد ٥٠ متراً من المسجد الأقصى على حساب وقف إسلامي يُسمى (حمام العين)، وهو الذي يعمل الآن على توسيع دائرة مستوطنة راس العمود التي تقع شرق المسجد الأقصى المبارك، وهذه الأحداث تعطينا انطباعاً بأن الباطل الصهيوني ينفق هذه المبالغ الطائلة الخيالية من دون حدود على إستراتيجية باطلة لتهويد القدس، وهدم المسجد الأقصى لبناء هيكل مكانه.

في المقابل، نحن نسأل: ماذا عملنا؟ ماذا قدّمنا؟ قدّمنا شيئاً طيباً بلا شك، لكن هذا الشيء الطيب يحتاج إلى أن يكون له دور أقوى، حجم أقوى، مؤثر جداً، متصدياً لإستراتيجية تهويد القدس التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي، ومخطّطه الأسود الذي يطمع فيه أن يبني هيكلاً مكان المسجد الأقصى، نحن بحاجة إلى دور يقوى يوماً بعد يوم. جملة أخيرة أقولها بكل صراحة، هي أن الدور الإسلامي العربي سيبقى مقصّراً حتى يزول الاحتلال الإسرائيلي.



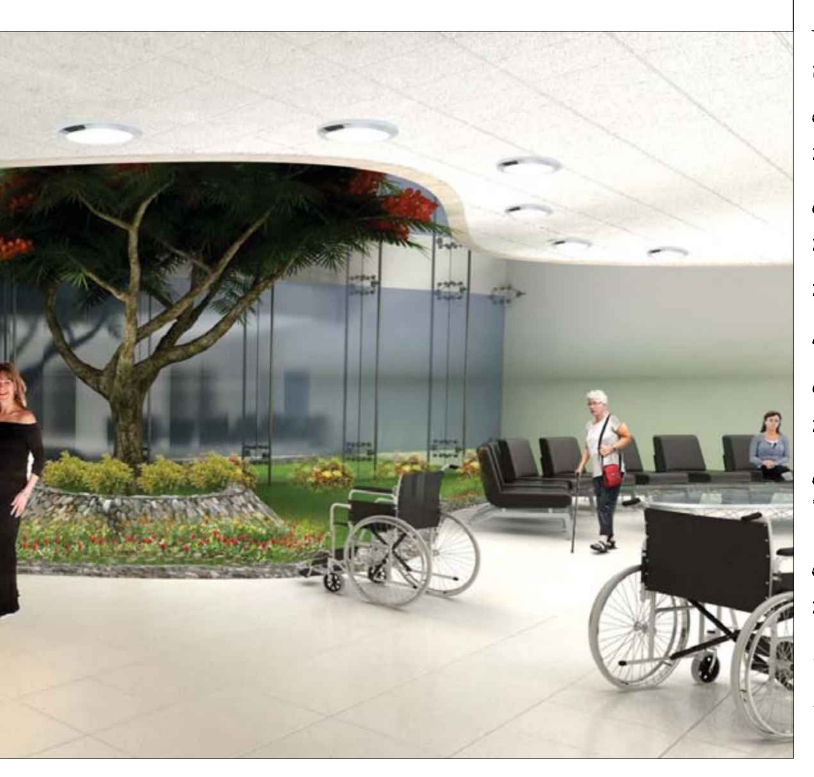
السياحة العلاجية والاستشفاء

معتز صلاح الدين
القاهرة – مصر

السياحة العلاجية ليست مصطلحاً جديداً، بل يعود هذا المصطلح إلى آلاف السنين؛ فقد كان الناس في الدولة اليونانية القديمة يقصدون البحر المتوسط والخليج اليوناني للشفاء. كما عرفت الحضارات القديمة أيضاً مراكز الاستجمام والحمامات التي تختلف بالطبع من ناحية الشكل عن الشكل الذي نعرفه الآن؛ فقد اهتمت إنجلترا في القرن الثامن عشر بالسياحة العلاجية، ووجهت الباحثين عن علاج مرض النقرس إلى المياه المعدنية الشافية، وكذلك التهاب الشعب الهوائية، واضطرابات الكبد، وغيرهما من الأمراض.

وتعني السياحة العلاجية الانتقال من بلد الإقامة إلى بلد آخر بهدف الاستشفاء؛ فالسائح عندما يسافر للعلاج يُوصف بأنه سائح طبي أو مريض عالمي. وتنقسم السياحة العلاجية إلى نوعين: الأول منظّم، وتهتم به وكالات السفر، وتقوم بجميع الإجراءات المتعلقة به، بينما يقتصر النوع الثاني على الأفراد، ويتّجه فيه المرضى مباشرةً إلى مقدمي الخدمات الطبية في الداخل والخارج نتيجة التطورات الطبية والتكنولوجية، وسهولة التنقل بين الدول، وسهولة الإجراءات، وارتفاع القدرة الشرائية لدى الفرد. لذلك؛ فإن هذه الأسباب جعلت السياحة العلاجية هاجس كثير من الكادحين في العمل طوال العام، يدّخرون الأموال للذهاب في إجازة سنوية قوامها الاستشفاء والاستجمام والتخلص من ضغوط العمل المتراكمة ومتاعب الحياة. وتشير الدراسات التي أجريت مؤخراً إلى أن السياحة العلاجية (الطبية) لم تعُدْ تقتصر على بعض الدول التي يوجد بها الثروات الطبيعية من مياه مالحة أو معدنية أو مناخ خلاب أو تربة بركانية، بل تتوافر في كل مكان في العالم، سواء في أوربا أم الشرق الأوسط أم اليابان أم أمريكا، ويُقدَّر عدد سياح الطب الأمريكيين عام ٢٠٠٩م بمليونين ونصف المليون سائح.

كما تكشف الدراسات أن العرب والروس من أكثر الشعوب بحثاً عن علاج في الدول الأوربية؛ فالسياحة الطبية تسهم بأموال ضخمة تزيد من مستوى دخل الدولة. وتتنافس الدول اليوم في تقديم أفضل الخدمات التي تقوم على الراحة والسرعة في تلبية حاجات المريض، ومعالجة المشكلات الطبية الطارئة من دون مدة انتظار كما هو معتاد في الطب. ومن المسائل المتنافس عليها بين الدول في جذب المرضى إلى هذا النوع من السياحة مسألة التأمينات الصحية التي يكتشف





المريض أنها لا تغطي نوع الداء المصاب به، فضلاً عن مستوى الأسعار الذي يدفع كثيرين إلى اختيار دولة أخرى غير موطنهم لإجراء العملية الجراحية، والبقاء في مدة النقاهة؛ فاستبدال صمام القلب في أمريكا يكلّف ٢٠٠ ألف دولار أمريكي، في مقابل عشرة آلاف دولار في الهند، ويشمل هذا السعر تكاليف السفر ذهاباً وإياباً، وجولة في المناطق النائية ذات الطبيعة النقية، إضافةً إلى تكاليف الفندق. وفي الإطار نفسه تصل تكلفة تركيب (جسر الأسنان) في أمريكا إلى نحو ستة



آلاف دولار أمريكي، في حين لا تتعدى التكلفة ألفي دولار في بلغاريا أو فلسطين. ولقاصدي الجراحات التجميلية يمكنهم التوجه إلى تركيا التي تعدّ الآن ملكة أوربا في هذا المجال، خصوصاً أنها تسعى إلى دخول الاتحاد الأوربي. ويبحث كثير من المرضى في العالم عما يمكن أن يعالج آلامهم، أو يمنحهم أملاً في الشفاء، ولو تطلب منهم السفر إلى مناطق بعيدة من بلادهم من أجل السياحة العلاجية. وفي هذا السياق، تقوم وكالات السياحة والسفر في كثير من دول العالم باستقطاب المرضى وذويهم؛ بهدف إنعاش السياحة الطبية العلاجية. ومن الدول العربية الرائدة في مجال سياحة العلاج الطبيعي والاستشفاء الأردن، التي تجاوزت إيراداتها في هذا المجال مليار دولار عام ٢٠٠٨م، وبذلك احتلت الأردن المرتبة الأولى في هذا المجال على المستوى العربي، وتحتلّ المركز الخامس على مستوى العالم. كما توجد إمكانيات كبيرة للسياحة العلاجية في مصر، وتمتلك مصر إمكانيات كبيرة للسياحة العلاجية في محافظة الوادي الجديد، خصوصاً في الواحات، وكذلك في محافظة البحر الأحمر، وفي سيناء، ويمكن أن يصل عدد السياح الذين يزورون مصر بهدف السياحة العلاجية إلى ٥٠٠ ألف سائح سنوياً لو أحسنت مصر استغلال إمكانياتها، خصوصاً العلاج بالدفن في الرمال لعلاج أمراض الروماتيزم، والروماتويد، والالتهاب العظمي المفصلي، وضمور غضاريف الفقرات الظهرية والقطنية، خصوصاً رمال الواحات البحرية وسيناء وسفاجا. كما أن سيناء يوجد بها مئات العيون والآبار الطبيعية ذات المياه المعدنية والكبريتية التي تراوح درجة حرارتها بين ٣٠ و٧٣ درجة، وبها أعلى نسبة كبريت وأملاح معدنية ومعادن ذات قيمة علاجية؛ مثل: كربونات الصوديوم، والحديد، والمغنسيوم، وتوجد آبار ناصر على بعد ١٨ كيلومتراً جنوب واحة الخارجة، وهي ثلاثة آبار تتجمع مياهها في حمام للسباحة درجة مياهه ٢٨ درجة مئوية على مدار العام، وأثبتت فعاليتها في علاج أمراض الروماتيزم والأمراض الجلدية واضطرابات الجهاز الهضمي. كما توجد آبار موط في الوادي الجديد، ودرجة حرارتها ٤٣ درجة، وتعالج عدداً من الأمراض، ويبقى أن يتم استثمار هذه الإمكانيات، والاستفادة من تجربة الأردن في هذا الشأن.





تمويل شفاف
Transparent Financing





Home Finance Specialists اختصاصيو التمويل السكني

زوروا فروعنا أو ممثلينا و تمتعوا بعروضنا الخاصة:

Competitive Prices اسعار منافسة	Expat Financing تمويل للمقيمين
Transparent Financing تمويل شفاف	Innovative Solutions حلول مبتكره

الخبر	جدة	الرياض	800 244 2233
طريق القاعدة الجوية	جميل سكوير	طريق الملك عبدالله	الرقم المجاني

قدم طلبك اليوم

www.deutschegulf.com


جمعية
الأطفال
المعوقين
Disabled Children's Association


جمعية وطن



